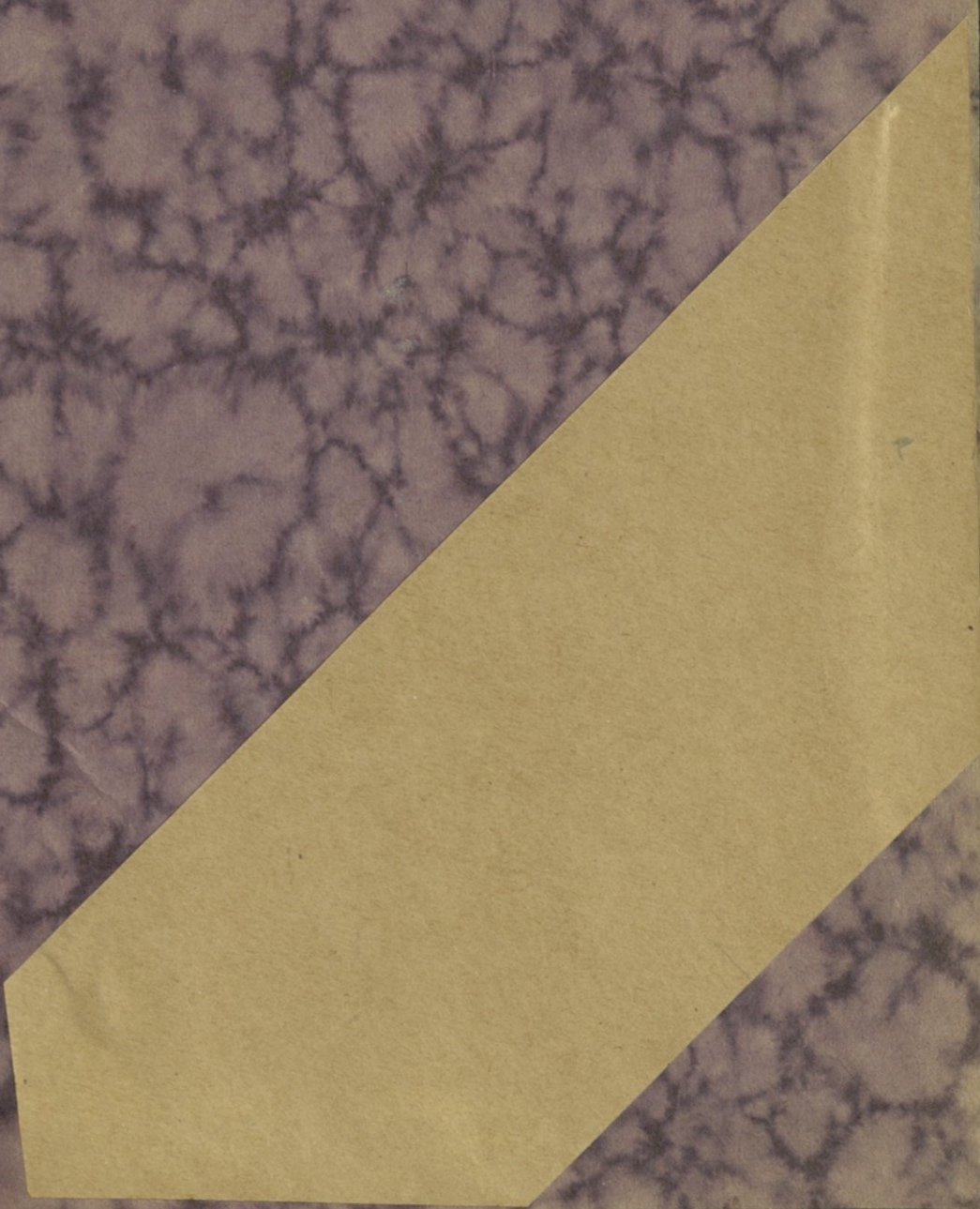
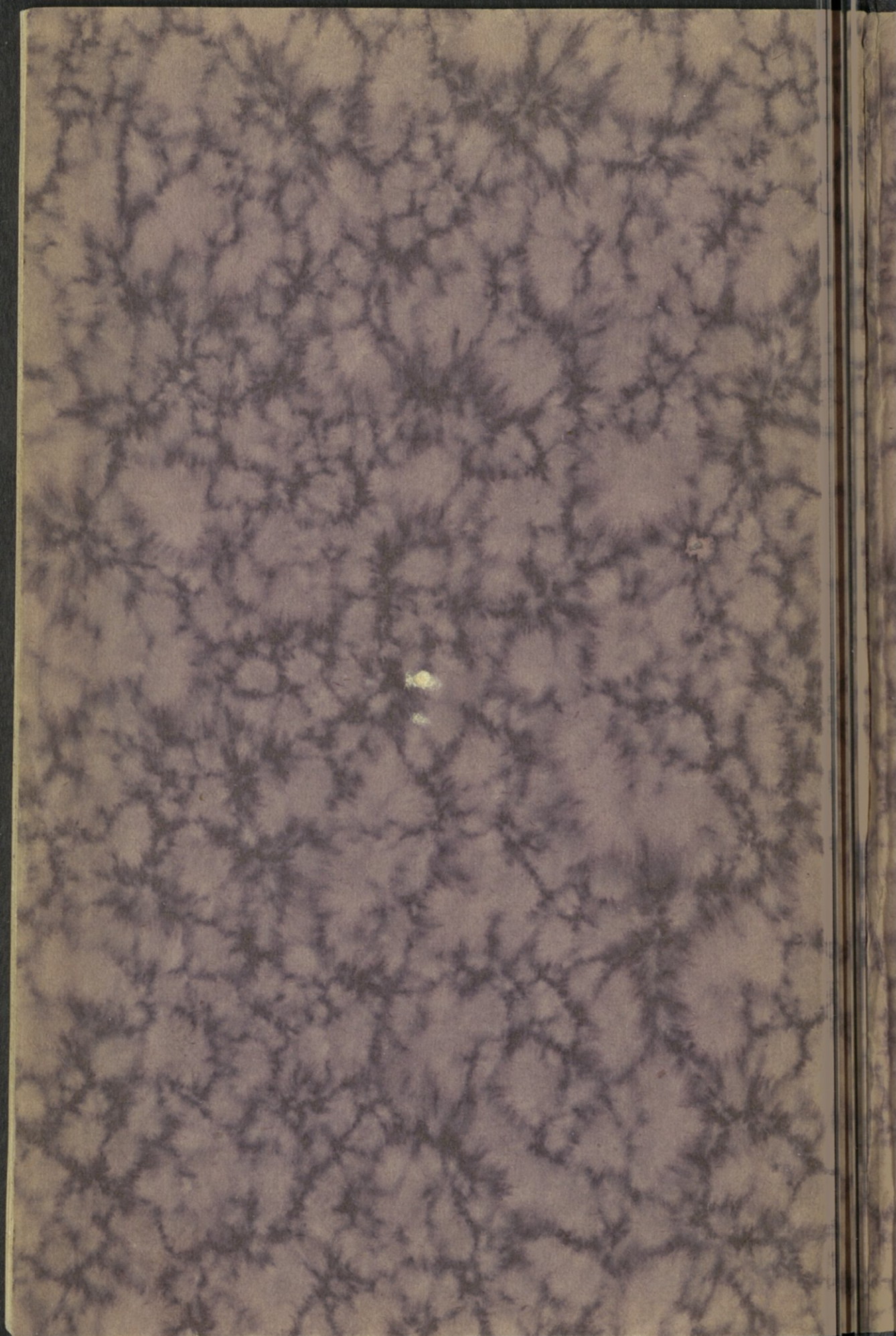
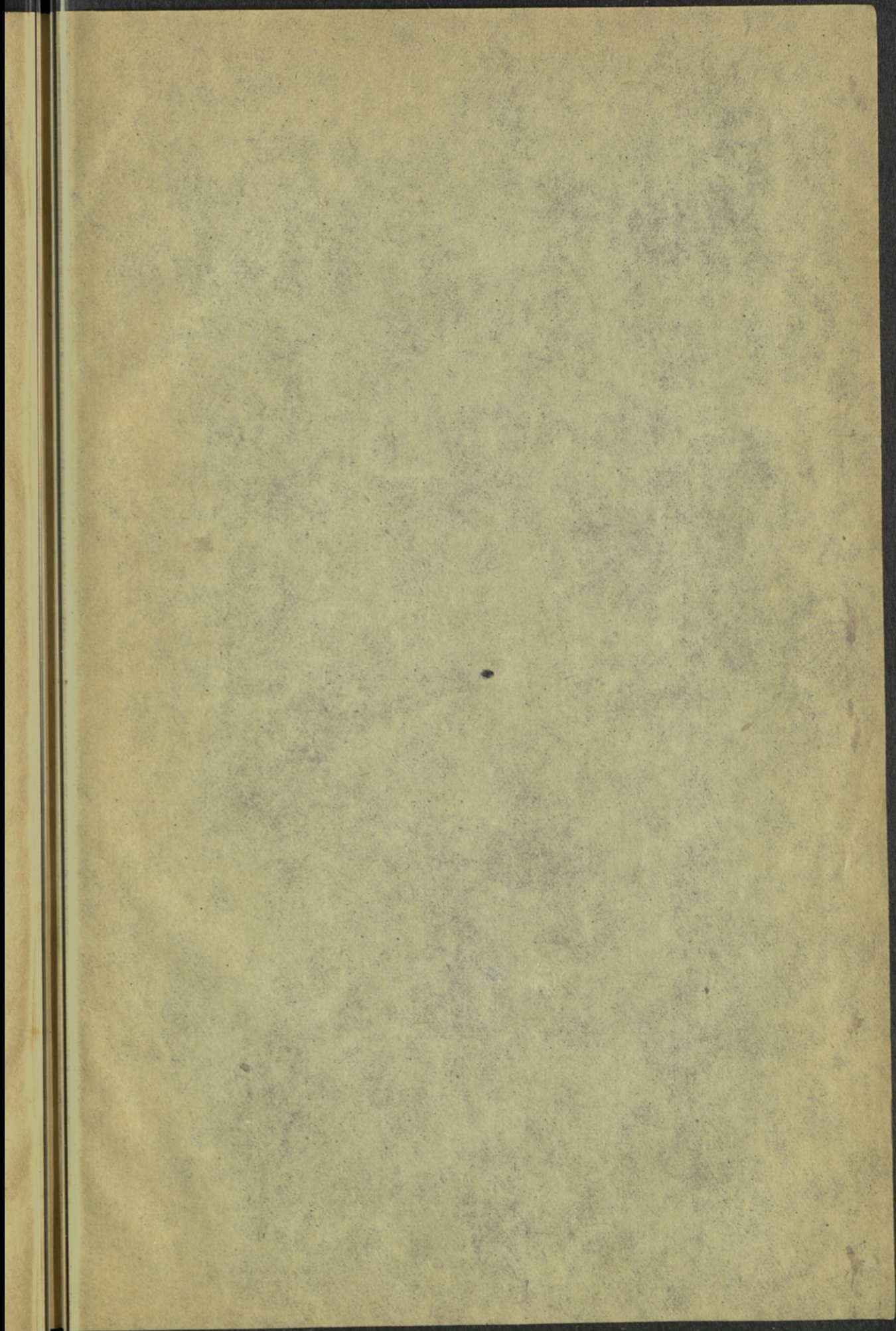


CA
297.23
R142taA
1901

F.A.U.B. LIBRARY







هدية

مكتبة المدرسة الكلية السورية الدخيلية في بيروت
مع كتابي الفوز الأصغر وأمنية الأملعي وبرنامج
المكتبة الخالدية في القدس الشريف
من امتنح هذه الكتب عن أصلها وسعى في طبعها
خدمة للنسانية وللعلم الشريف الحاج محمد الخبال
اعترافاً بقدر كل من الفاضلين الكاملين رئيسي
المدرسة المذكورة مؤسسها السابق الدكتور دانيال
بليس وشبله اللاحق الشهم الرهام الدكتور هورن
وتذكراً بمرحبان تنصيبه زار الثلاثاء ١٥ صفر ١٣٥٥ هـ
الموافق ٢٩ نيسان ١٩٠٤ م
أحسن به مدرسة لم يزل
شكري لمن قام بإعدادها
في ختام قولي الصادق
بمسرها السابق واللاحق
١٥

تبتك

تكون في قبلي في التوراة التي لا تقبل

في التوراة على التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

في التوراة في التوراة في التوراة

فهرست الكتاب

- صحيفة وهو يشتمل على ثلاثة وثلاثين باباً
- ٠٢ ترجمة المؤلف
- ٠٣ مقدمة الكتاب
- ١٠ الباب الاول في معرفة الانسان نفسه
- ١٥ " الثاني في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها
- ١٧ " الثالث في العناصر التي منها اوجد الانسان
- ٢٠ " الرابع في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
- ٢٢ " الخامس في تكون الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً
- ٢٥ " السادس في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصه بقوة
- شيء فشيء منها
- ٢٧ " السابع في ماهية الانسان
- ٢٩ " الثامن في كون الانسان مستصليحاً للدارين
- ٣٠ " التاسع في تمثيل ذات الانسان وتصويره
- ٣٧ " العاشر في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه
- لاجله
- ٣٩ " الحادي عشر في الغرض الذي من اجله اوجد الانسان ومنازلهم
- ٤٥ " الثاني عشر في تفاوت الناس واخلافهم
- ٤٧ " الثالث عشر في سبب تفاوت الناس
- ٥٠ " الرابع عشر في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
- ٥٣ " الخامس عشر في هداية الاشياء الى مصالحها
- ٥٦ " السادس عشر في سعادة الانسان ونزوعه اليها

٦١	الباب السابع عشر في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها
٦٥	" الثامن عشر في تظاهر العقل والشرع وافنقار احدهما الى الآخر
٦٨	" التاسع عشر في فضيلة الشرع
٧١	" العشرون في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان
٧٥	" ٢١ في ما يتعلق به الشرع من الافعال
٧٧	" ٢٢ في تحقيق العبادة
٧٨	" ٢٣ في انواع العبادة من العلم والعمل
٨٢	" ٢٤ في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
٨٤	" ٢٥ في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع
٨٨	" ٢٦ في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل منها
٨٩	" ٢٧ في كون الانسان مفضولاً على اصلاح النفس
٩١	" ٢٨ في سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة
٩٣	" ٢٩ في احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها
٩٥	" ٣٠ في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر
١٠٠	" ٣١ في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة
١٠٦	" ٣٢ في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده
١١١	" ٣٣ في فضيلة الانسان اذا شرف على الملائكة



كتاب

CA
297.23
R1424A
1901

~~1935~~
1935

تفصيل النشأتين

تحصيل السعادتين

للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل
الراغب الإصفهاني المتوفى في رأس المائة
الخامسة قدس الله روحه أمين

منقولة عن نسخة خطية قدسية ومقابلة على نسخة أخرى
كتبها لنفسه الشيخ رضي الدين بن أبي بكر الحلبي
سنة ٩٦٣. ومصححة في غاية الدقة والاعتناء
بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري

طبع في بيروت سنة ١٣١٩

« ترجمة المؤلف »

قال في كشف الظنون : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين
 للإمام ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى
 في رأس المائة الخامسة مختصراً اوله : الحمد لله الذي ارسل بالنبوة عبده
 ربه على ثلاثة وثلاثين باباً وفصل فيه النشأة الاولى والنشأة الأخرى
 وقال عند ذكر كتاب مفردات الفاظ القرآن العزيز له : قال السيوطي
 في طبقاته : كان في اوائل المائة الخامسة . ونقل عن خط الزركشي مانصه :
 ذكر الامام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس في الاصول) ان
 الراغب من ائمة السنة وقرنه بالغزالي . هـ

وقال عند (ذكر الذريعة الى مكارم الشريعة) - الذي هو كالمقدمة
 لكتابنا هذا على ما يظهر من اسلوب الكتابين : قيل ان الامام حجة
 الاسلام الغزالي كان يستحب كتاب الذريعة دائماً ويستحسنه لنفسه .
 وقال عند ذكر تفسيره : هو تفسير معتبر في مجلد اورد في اوله مقدمات
 نافعة في التفسير وطرزه (اسلوبه) انه اورد جملاً من الآيات ثم فسرها
 تفسيراً مشبعاً وهو احد ما أخذ انوار التنزيل للبيضاوي . غير ان بعضهم
 جعل مفردات الراغب احد ما أخذ القاضي البيضاوي في تفسيره
 ولا تنافي بين القولين . وبالجمل فالأمام الراغب ممن اجمعت
 علي فضله العلماء الاعلام على اختلاف مشاربهم وتنوع
 مذاهبهم نعمده الله بالرضوان واسكنه فرايس الجنان
 ووفق ارباب العلم العلية لنشر مؤلفاته
 والاستضاءة بنور مشكاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ارسل بالنبوة عبده . وعلمنا على لسانه حمده
ورغبنا فيما عنده . ونسأله ان يصلي على نبيه محمد وعلى آله وان
يهدينا بأوضح دليل . الى انجح سبيل . وبأقوى حجة . الى
اوضح محجة

قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب :
هذه رسالة في تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين
اما النشأتان فاحداها المذكورة في قوله تعالى : « ولقد علمتم
النشأة الاولى فلولا تذكرون » . والثانية المذكورة في قوله تعالى :
« ثم ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير »
واما السعادتان فاحداها المذكورة في قوله تعالى : « اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم » . والثانية المذكورة في قوله تعالى :
« واما الذين سعدوا ففي الجنة »
وقد عملت ذلك للاستاذ الكريم ايده الله لما رأته معنياً

باكتساب الانسانية الموصلة الى السعادتين اعانه الله على
 استفادتها حتى يصير حاوياً لنوعها ومحامياً على معناها ومراعياً
 لخصائصها فقد كاد او قد كان قولنا الانسان لفظاً مطلقاً على
 معنى غير موجود واسماً لحيوان غير معهود كعنقاء مغرب ونحو
 ذلك من الاسماء التي لامعاني لها كما قال تعالى في صفة الاضنام
 المسماة آلهة: «ان هي الا اسماء سميتموها انتم وَاَبَاؤُكُمْ مَا انزل
 الله بها من سلطان» . وقال جل جلاله: «ما تعبدون من دونه الا
 اسماء سميتموها» فجعلها اسماء بلا مسمى ولم أعن بالانسان كل
 حيوان منتصب القامة عريض الظفر امس البشرة ضاحك الوجه
 ممن ينطقون ولكن عن الهوى . ويتعلمون ولكن ما يضرهم ولا
 ينفعهم . ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
 هم غافلون . ويكتبون الكتاب بأيديهم ولكن يقولون هذا من
 عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا
 به الحق . ويؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت . ويعبدون ولكن
 من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم . ويبيتون ولكن ما لا يرضى
 من القول . ويأتون الصلاة ولكن كسالى ولا يذكرون الله الا
 قليلاً . ويصلون ولكنهم من المصلين الذين هم عن صلاتهم
 ساهون . ويذكرون ولكن اذا ذكروا لا يذكرون . ويدعون

ولكن مع الله الهأ آخر . وينفقون ولكن لا ينفقون الا وهم كارهون
 ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبعون . ويخلقون ولكن يخلقون
 ايفا . فهو لا وان كانوا بالصورة المحسوسة ناسا فهم بالصورة المعقولة
 لا ناس ولا نسناس كما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب
 كرم الله وجهه : يا اشباه الرجال ولا رجال بل هم من الانس
 المذكور في قوله تعالى : « شياطين الانس والجن يوحى بعضهم
 الى بعض زخرف القول غرورا » . وما ارى البحرى اذا اعتبر
 جل الناس بالخلق لا الخلق مبعدا في قوله :

لم يبق من جل هذا الناس باقية

ينالها الوهم الا هذه الصور

ولا من يقول :

جلهم اذا فكرت فيهم حمير او كلاب او ذئاب

ولا تحسبن هذه الايات اقوالا شعرية واطلاقات مجازية

فان الله تعالى يقول : « ام تحسبن ان اكثرهم يسمعون او يعقلون

ان هم الا كالا نعام بل هم اضل سبيلا » . وقد انبأت في هذه

الرسالة عن جملة الموجودات ومكان الانسان منها ومبداها ومنشأها

ومنتهاها وما جعل له من السعادة في الدارين باكتساب الانسانية

وكيفية التطرق اليها وابتدأت بالتنبيه على وجوب معرفة

الانسان ذاته فمن علم أن شيئاً ما هو مما يجب ان يعلم فانه وان لم يعلمه
 فقد يحصل له بذلك علم^١. فمن العلم ان تعلم أنك لا تعلم وعلم الانسان
 بجهله احد العليين * قال ابن عباس رضي الله عنه : من لم يجد
 مس نقص الجهل في عقله وذل المعصية في قلبه ولم يستبن الخلة
 في لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن
 دنية ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكثر لفصل ما بين
 حجة وشبهة * وبقدر معرفة منفعة الشيء يحرص الانسان على طلبه
 ويصبر على تحمل المشقة في تحصيله ولذلك قال الله تعالى في
 صفة من جهل نفع مطلوبه : (وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبراً) . فأعرف ايها الفاضل فضيلة الانسانية وما أعد من
 الفلاح لمن تزكى كما قال تعالى : (قد افلح من زكّاه) فإنها
 هي المكارم لا قعبان^(١) من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 ولا يتكادتك^(٢) بعد الشقة وفعل من يروقك طاقه ورواقه
 فان جاوزت كسوته اليه فليس وراء عبادان^(٣) قرية بل لا تراه الا
 عبداً لحجر او مدز او بهيمة او ظعينة من ذمه النبي صلى الله

(١) مثني قعب وهو القدح الضخم (٢) تكادني الامر شق علي

كتكادني (٣) عبادان جزيرة احاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في

تعالى عليه وسلم بقوله : تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس
وانتكس واذا شيك فلا انتكس . فأنتك في عنفوان شبابك ولدونة
اغصانك *

واعلم انه ليس يحسن بذى همة قد احسن الله اليه في خلقه
وَخُلِقَ وَقِيضَ لَهُ مَنْ رَبَّاهُ فَاحْسَنُ تَرْبِيَّتِهِ وَازَاحُ فِي مَعَاوَنَتِهِ بَعْدَ
بَلُوغِهِ عِلَّتَهُ اِنْ يَرْضَى بِأَنْ يَكُونَ حَيْوَانًا وَقَدْ امْكَنَهُ اِنْ يَصِيرُ اِنْسَانًا
اَوْ بِأَنْ يَكُونَ اِنْسَانًا وَقَدْ امْكَنَهُ اِنْ يَصِيرُ مَلَكًا اَوْ بِاَنْ يَكُونَ مَلَكًا
وَقَدْ امْكَنَهُ اِنْ يَصِيرُ مَلَكًا فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مَقْنَدِرٍ فَتَقُومُ
الْمَلَائِكَةُ بِخِدْمَتِهِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ . وَفَقْنَا اللهُ
لِذَلِكَ وَلَا جَعَلْنَا مِنَ الْكِنَانِ الْمَوْصُوفِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَوْ كَانَتْ
عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكُ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)
جَعَلْنَا اللهُ وَايَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْصُوفِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (هُوَ الَّذِي
انزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) وَبِقَوْلِهِ : (اُولَئِكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْاِيْمَانَ وَايَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) حَتَّى لَا تَعْتَرِبَ بِمَا هُوَ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ
يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى اِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

تراجم ابواب الكتاب

وهي ثلاثة وثلاثون باباً

- « ١ » ا في معرفة الانسان نفسه
- « ٢ » ب في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها
- « ٣ » ج في العناصر التي منها اوجد الانسان
- « ٤ » د في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
- « ٥ » هـ في تكون الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً
- « ٦ » و في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصه بقوة شيء فشيء منها
- « ٧ » ز في ماهية الانسان
- « ٨ » ح في كون الانسان مستصليحاً للدارين
- « ٩ » ط في تمثيل ذات الانسان وتصويره
- « ١٠ » ي في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ماعداه لاجله
- « ١١ » يا في الغرض الذي من اجله اوجد الانسان ومنازلهم
- « ١٢ » يب في تفاوت الناس واختلافهم
- « ١٣ » يج في سبب تفاوت الناس
- « ١٤ » يد في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
- « ١٥ » يه في هداية الاشياء الى مصالحها
- « ١٦ » يو في سعادة الانسان ونزوعه اليها

- «١٧» يز في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها
- «١٨» يح في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر
- «١٩» يط في فضيلة الشرع
- «٢٠» ك في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان
- «٢١» كا في ما يتعلق به الشرع من الافعال
- «٢٢» كب في تحقيق العبادة
- «٢٣» كج في انواع العبادة من العلم والعمل
- «٢٤» كد في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
- «٢٥» كه في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع
- «٢٦» كو في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل بذلك
- «٢٧» كز في كون الانسان مفطوراً على اصلاح النفس
- «٢٨» كح في سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة
- «٢٩» كط في احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها
- «٣٠» ل في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر
- «٣١» لا في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة
- «٣٢» لب في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده
- «٣٣» لج في فضيله الانسان اذا شرف على الملك

الباب الاول

في معرفة الانسان نفسه

قالت الحكماء مرة: اول ما يلزم الانسان معرفته نفسه
 وقالوا مرة: اول ما يلزمه معرفة الله تعالى . وليس بين هذين القولين
 منافاة فانهم عنوا بالأول حيث قالوا معرفة النفس الاول من
 حيث الترتيب الصناعي وعنوا (بالأول ايضاً) حيث قالوا معرفة
 الله الأول من حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي افضل
 المعارف . وفي معرفة النفس اطلاع على امور كثيرة:

احدها: انه بواسطتها يتوصل الانسان الى معرفة غيرها ومن
 جهلها جهل كل ما عداها

والثاني: ان نفس الانسان مجمع الموجودات كما نبين بعد
 فمن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله تعالى: (اولم
 يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا
 بالحق واجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكَافرون)
 تنبيهاً على انهم لو تدبروا انفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقائق
 الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا بها حقيقة السموات والارضين

معرفة النفس
سبيل التقدم
في المعرفةانفس مجموع
الموجودات

ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم قال الله: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق^{١٠}) وقال: (وفي الارض آيات^{١١} للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون)

والثالث: ان من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفه صار في حكم المشاهد لله تعالى وهو يخلق السموات والارض ولم يكن كالكفرة الجهالة الذين اثكلهم^(١) هذه المنزلة فقال فيهم: (ما شهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً)

والرابع: انه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحاني وبقاءه وبمعرفة جسده العالم الجسداني وفناءه فيعرف خسة الفانيات وشرف الباقيات الصالحات

والخامس: ان من عرف نفسه عرف اعداءه الكامنة فيها المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم: اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فيستعيد منها . كما قال عليه الصلاة والسلام: اللهم اهمني رشدي وأعذني من شر نفسي . وقال: لا تكني الى نفسي طرفه عين فأهلك . ومن عرف اعداءه الكامنة ومكانها وكيفية انبعاثها احسن ان يحترز منها وان يجاهدها فيستحق ما وعد

(١) الثكلي المرأة التي فقدت ولدها واثكلها الله جعلها ثكلي

الله به المجاهدين في سبيله ومن لم يعرفها فجدير ان يتراءى له عدوه
الذي هو الهوى بصورة العقل فيتصور له الباطل بصورة الحق وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم: الهوى شيطان بل قال هو اله
يعبد من دون الله. وقد روي انه قال صلى الله عليه وسلم: ما عبد
في الارض اله ابغض الى الله من الهوى ثم تلا: (أَفَرَأَيْتَ
مَنْ أَتَّخَذَ الْهَوَىٰ هُوًا) (من اتخذ الهه هواه)

والسادس: ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها ومن احسن
ان يسوس نفسه احسن ان يسوس العالم فيصير من خلفاء الله
المذكورين في قوله تعالى: (ويستخلفكم في الارض) ومن
الملوك المذكورين في قوله تعالى: (وجعلكم ملوكاً)
والسابع: ان من عرفها لم يجد عيباً في احد الا رآه موجوداً
في ذاته اما ظاهراً منبعثاً او كامناً فيه ككمون النار في الحجر فلا
يكون هماً ولاماً وغياباً فان كل عيب تراءى له من غيره وجده
في نفسه ومن رأى عيب نفسه فجدير ان يكون ممن دعا له النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله: رحم الله امرءاً شغله عيبه عن عيوب
غيره * ومعرفة عيب النفس صعب من حيث ان كل انسان
يحب نفسه وحبها يعميها عن معايبها كما قال صلى الله عليه وسلم:
حبك الشيء يعمي ويصم * والأعمى والأصم عن عيب الشيء

مرثه - النفس
يرصه اليها
السادس

مرثه - النفس
بيد الرصع

قد يعجب به . ولا ضرر اعظم من اعجاب المرء بنفسه وقد قال
 بعض الحكماء : الكاذب في نهاية البعد عن الحق والمرائي اسوأ
 حالاً من الكاذب لأن الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائي
 يكذب بقوله وفعله . قال : واسوأ حالاً منهما المعجب بنفسه لأن
 الكاذب والمرائي قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه بوجه
 ولاً منهما قد ينفع وينجع وعظك فيهما لعلهما بنفسهما . والمعجب
 بنفسه لجهله يظنك في وعظك اياه ملغياً

والثامن : ان من عرف نفسه فقد عرف الله تعالى فقد روي
 انه ما انزل الله من كتاب الا وفيه : اعرف نفسك يا انسان تعرف
 ربك وهذا معنى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
 انفسهم الآية * وفي هذا الخبر ثلاث تأويلات : احدها ان
 بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الله عز وجل كقولك اعرف
 العربية تعرف الفقه اي بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه وان
 كان بينهما وسائط . والثاني انه اذا حصل معرفة النفس حصل
 بمصونها معرفة الله بلا فاصل كقولك بطلوع الشمس يحصل
 الضوء فيكون الضوء مقترناً بطلوعها غير متأخر عنها بزمان . والثالث
 ان معرفة الله تعالى ليست تثبت الا ان تُعرف النفس لانك اذا
 عرفت على الحقيقة فقد عرفت العالم فاذا عرفت العالم عرفت انه

مرزبة النفس
 تشبه في معرفة
 النفس

محدث وان لا بد له من محدث لا يشبه المحدث بوجه وذلك
هو غاية معرفة الله تعالى . قالوا وعلى هذا دل معنى قول امير
المؤمنين كرم الله وجهه: ان العقل لاقامة رسم العبودية لا لا ادراك
الربوبية ثم انشأ يقول:

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي انشأ الأشياء مبتدئاً فكيف يدركه مستحدث النسم
وقال ايضاً:

العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات السر اشراك
وفي سرائر همات الوري همم عن ذا الذي عجزت جن واملأك
يهدى اليه الذي منه اليه هدى مستدركا وولي الله مدراك

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه: يا من غاية معرفته
القصور عن معرفته . وقال الله تعالى: «نسوا الله فانساهم انفسهم»

تنبيهاً على انهم لو عرفوا انفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دل جهلهم
اياهم على جهلهم اياها



الباب الثاني

في ذكر اجناس الموجودات وموضع الانسان منها

اعلم ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذي لا سبب لوجوده
 بل هو سبب كل موجود . وكل موجود فمنه وبه تعالى وجوده .
 والموجودات ضربان : المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية
 وايجاده تعالى للمعقولات العلوية قبل ايجاده للمحسوسات السفلية
 كما روي انه اول ما خلق الله تعالى القلم ثم الموح وقال اجر بما هو
 كائن الى يوم القيامة . وروي انه اول ما خلق الله العقل فقال
 له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال بعزتي وجلالي ما خلقت
 خلقاً اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي ولك الثواب
 وعليك العقاب * وليس المراد بالعقل ههنا العقول البشرية بل
 الاشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية . وقال
 قوم: العقل ههنا عبارة عن القلم المذكور في الخبر الاخر والله اعلم
 ثم اوجد الله تعالى الروحانيات الذين لا يستكبرون عن
 عبادته ولا يستحسرون وايجاد هذه الاشياء على سبيل الابداع .
 والابداع هو ايجاد الشيء لا عن شيء موجود من قبل . ثم خلق

الاركان الاربعة والجمادات والناميات والحيوانات وختم بالصورة
 الانسانية كما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: خلق الله
 تعالى يوم الاحد كذا ويوم الاثنين كذا الى ان قال وخلق
 الانسان يوم الجمعة آخر النهار. والخلق في اكثر الاحوال يقال في
 ايجاد الشيء من الشيء قبله نخلق الانسان من التراب ويقضى
 تركيباً ولذلك قال الله تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين
 لعلكم تذكرون). والى الاشياء المركبة اشار بقوله تعالى: (اولم
 يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم). واعلم ان كل
 شيء من المبدعات فتام لا نقص فيه ولو كان فيه نقص لدل
 ذلك على نقصان مبدعه وصانعه فاما المخلوق الذي هو مركب من
 شيء فقد يحتمل ان يكون فيه نقص ويكون نقصه عارضاً من
 جهة ما تركب منه لا من جهة مركبه وفاعله فلهذا صارت
 المبدعات من الاشياء العلوية معرّاة عن اعتراض الفساد فيها حالا
 فحالا بل تبقى على حالتها الى ان يشاء الله تعالى ان يرفع العالم
 والانسان انسانان: احدهما آدم الذي هو ابو البشر ويجري
 هو من سائر الناس مجرى البذر الذي منه الشيء غيره والباري تعالى
 قد تولى بنفسه ايجاده وتربيته وتعليمه كما نبه عليه بقوله تعالى:
 (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي). وقوله تعالى: (وعلم آدم

الاسماء كلها) والثاني بنوه وموجدهم ايضاً الباري تعالى ولكن جعل
انشاءهم وتربيتهم وتعليمهم بوسائط جسمانية وروحانية فالجسماني
كالا بويين والروحاني كالملائكة المدبرات والمقسمات الذين
يتولون انشاءه وتربيته كما روي في الخبر: الولد يكون اربعين يوماً
نظفة ثم يصير علقة ثم يصير مضغة ثم يبعث الله ملكاً فينفخ فيه
الروح الى غير ذلك من الاخبار. ولكون الابوين سبباً في وجود
الولد عظم الله تعالى حقهما والزم بعد شكره شكرهما فقال: (اشكر
لي ولوالديك) . ويسمى الولد ابناً وهو مشتق من بنيت البنية
تنبهاً على انه جار للاب مجرى البناء للباني

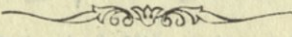
الباب الثالث

في ذكر العناصر التي منها أوجد الانسان
ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبه
على انه جعله انساناً في سبع درجات . و اشار الى ذلك في مواضع
مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة فقال في موضع خالقه من تراب
اشارة الى المبدأ الاول . وفي آخر من طين اشارة الى الجمع بين
التراب والماء . وفي آخر من حما مسنون اشارة الى الطين المتغير
بالهواء ادنى تغير . وفي آخر من طين لازب اشارة الى الطين

المستقرّ على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة . وفي آخر
 من صلصال من حماء مسنون إشارة الى بئسه وسماع صلصلة منه
 وفي آخر من صلصال كالفخار . وهو الذي قد أُصلح بأثر من النار
 فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل في الانسان اثر من
 الشيطنة وعلى هذا المعنى دلّ بقوله : (خلق الانسان من صلصال
 كالفخار وخلق الجنّ من مارج من نار) . فنبه على ان الانسان فيه
 من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار وان الشيطان
 ذاته من المارج الذي لا استقرار له . ثم نبه الله على تكميل الانسان
 بنفخ الروح فيه فقال : (اني خالق بشراً من طين فاذا سوّيته
 ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) . فهذه سبع درجات
 نبه عليها كما ترى . ثم دلّ على تكميل نفسه بالعلوم والاداب بقوله
 تعالى : (وعلم آدم الاسماء كلّها) ثم ذكر خلق بني آدم وعناصرهم
 التي اوجدها حالة بعد حالة فنبه على انه جعلهم اناساً في سبع
 درجات حسب ما جعل آدم عليه السلام فقال تعالى : (ولقد
 خلقنا الانسان من سلاّة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
 ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً
 فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن
 الخالقين . وقوله تعالى : (ثم انشأناه خلقاً آخر) اشار به الى ما جعل

له من قوة العقل والفكر والنطق . فان قيل فلم قال فكسونا العظام
لحمًا ولم يقل فخلقنا منه لحمًا كما قال في الأول . قيل اشارة منه تعالى
الى لطيفة من صنعه وهو ان النطفة انتهت الى صورة العظم ثم
انشأ الله اللحم انشاء آخر لا من النطفة واجراها مجرى الكسوة التي
قد ينزعها الانسان ويجد دُها ولذلك اذا قطع من الحيوان لحم عاد
ولم يكن كالعظم الذي لا يعود بعد قطعه * فان قيل كيف حكم
على جميع الناس انه خلقهم من سلالة من طين والمخلوق منها هو
آدم دون اولاده . قيل ان ذلك على وجهين : احدهما انه لما
خلق آدم من سلالة من طين فأولاده الذين منه هم ايضا منها .
والثاني ان الانسان يتكوّن من النطفة ويتربى بدم الطمث ^(١) وهما
يتكوّنان من الغذاء والغذاء يتكوّن من الحيوان والحيوان من
النبات والنبات من سلالة من طين فاذا الانسان على الحقيقة من
سلالة من طين وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : (انا صينا الماء
صبًا ثم شققنا الارض شققًا فانبثنا فيها حبا وعنبًا وقضبًا . وقوله :
(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في
قرار مكين) وقوله : (خلقكم من تراب ثم من نطفة) . فجعله
الله تعالى من تراب على هذا الوجه . وقال : (ومن آياته ان

خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون (وفي آخر: خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . وعني بالانسان هنا آدم ولذلك قال : ثم جعل نسله . فاقصر هنا على النطفة دون المبدأ الاول الذي هو التراب . وانما ذكر هذه المبادي متفرقةً لحكمة اقتضت تخصيص ذكرها في موضعها الذي ذكرها فيه وليس شرح تخصيص ذكر كل واحد من ذلك في موضعه مما يليق بهذا الكتاب



الباب الرابع

في ذكر قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
 الانسان قد جمع فيه قوى العالم وأوجد بعد وجود الاشياء
 التي جمعت فيه وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : (الذي احسن كل
 شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) . وقول النبي صلى الله
 عليه وسلم الذي تقدم ذكره . وقد جمع الله تعالى في الانسان
 قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته
 ومكوناته . فالانسان من حيث انه بوساطة العالم حصل ومن
 اركانه وقواه اوجد هو العالم . ومن حيث انه صغر شكله وجمع
 فيه قواه كالمختصر من العالم فان المختصر من الكتاب هو الذي

قلّ لفظه وأستوفي معناه . والانسان هكذا هو اذا اعتبر بالعالم .
ومن حيث انه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلصته وثمرته فهو
كالزبد من المخيض والدهن من السمسم فما من شيء الا والانسان
يشبهه من وجه فانه كالاركان من حيث ما فيه من الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة . وكالمعادن من حيث ما هو جسم .
وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى . وكالبهيمة من حيث
ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذوق يتألم . وكالسبع من حيث ما يحرض ^(١)
ويغضب . وكالشیطان من حيث ما يغوي ويضل . وكالملائكة
من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده ويخلفه . وكاللوح المحفوظ
من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التي كتبها فيه على سبيل
الاختصار . فقد ذكر بعض الحكماء في بدن الانسان اربعة الاف
حكمة وفي نفسه قريبا من ذلك . وكالقلم من حيث ما يثبت
بكلامه صور الاشياء في قلوب الناس كما ان القلم يثبت الحكم في
اللوح المحفوظ * ولكون الانسان من قوى مختلفة قال الله تعالى :
(انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج) اي مختلطة من قوى اشياء
مختلفة . ولكون العالم والانسان متشابهين اذا اعتبرا قيل الانسان
عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك قال الله تعالى : (ما خلقكم

(١) حرّض ككرم طال همه وسقمه

ولا بعثكم الا كنفس واحدة) . فإشار بالنفس الواحدة الى ذات العالم . ولما كان كل مركب من اشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهن على انفرادهن كالمركبات من الادوية والاطعمة كذلك في نفس الانسان حصل معنى ليس في شيء من موجودات العالم وذلك المعنى هو ما يختص به من خصائصه التي بها تميز عن غيره من هيات له كانتصاب القامة وعرض الظفر وانفعالات له كالضحك والحياء وافعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الاخلاق

الباب الخامس

في تكوين الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً
الانسان يكون اولاً جماداً ميتاً قال الله تعالى: (وكنتم امواتاً فأحياكم . وذلك حيث كان تراباً وطيناً وصلصلاً ونحوها . ثم يصير نباتاً نامياً كما قال الله تعالى: (والله انبتكم من الارض نباتاً) وذلك حيث ما كان نطفة وعلقة ومضغة ونحوها . ثم يصير حيواناً وذلك حيث ما يتبع بطبعه بعض ما ينفعه ويحترز من بعض ما يضره . ثم يصير انساناً مختصاً بالافعال الانسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع نحو قوله: (يا ايها الناس ان كنتم في

ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه
 ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة الآية . وقوله : (ا كفرت بالذي
 خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوآك رجلا) . فأول ما يظهر
 فيه قوة النزاع الموجودة في النبات والحيوان ثم قوة تناول الموافق
 ودفع المخالف ثم الحس ثم التخيل ثم التصور ثم التفكير ثم العقل فهو
 لم يصر انساناً الا بالفكر والعقل الذي به يميز بين الخير والشر والجميل
 والقبيح . والى العقل اشار الله تعالى بقوله : (وصوركم فأحسن
 صوركم) . فالانسان بعقله صار معدن العلم ومركز الحكمة .
 ووجود العقل فيه في ابتداء الامر بالقوة كوجود النار في الحجر
 المحتاج في ان يري^(۱) الى الاقنداح وكوجود النخل في النوى
 المحتاجة في ان ثمر الى غرس وسقي . وكوجود الماء تحت الارض
 المحتاجة في الاسنقاء منه الى حفرة * ونفس الانسان واقعة بين
 قوتين : قوة الشهوة وقوة العقل . فقوة الشهوة يحرص على تناول
 اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والسفاد والتغالب وسائر اللذات
 العاجلة . وقوة العقل يحرص على تناول العلوم والافعال الجميلة
 والامور المحمودة العاقبة . والى هاتين القوتين اشار الله تعالى
 بقوله : (انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) . وبقوله :

(۱) من وري الزند اذا خرجت ناره

(وهديناه النجدين)

ولما كان من جبلة الانسان ان يتجرى ما فيه اللذة وكانت
الذات على ضربين : احدهما محسوس كلذة المذوقات والموسات
والمشمومات والمسموعات والمبصرات وهي من توابع الشهوة الحيوانية
والثاني معقول كلذة العلم وتعاطي الخير وفعل الجميل . والذات
المحسوسة اغلب علينا لكونها اقدم وجوداً فبنا لانها توجد في
الانسان قبل ان يولد وهي ضرورية في الوقت ولذلك قال الله
تعالى : (يجبون العاجلة ويذرون الآخرة) ولذلك يكره اكثر
الناس ما يأمر به العقل ويميل الى ما يأمر به الهوى حتى قيل : العقل
صديق مقطوع والهوى عدو متبوع . ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات . ولذلك
يحتاج الانسان ان يقاد في بدا امره الى مصالحه بضرب من القهر
حتى قال صلى الله عليه وسلم : يا عجباً لقوم يقادون الى الجنة
بالسلاسل . فحق الانسان ان يجاهد هواه الى ان يقتحم العقبة
فيتخلص حينئذ من اذاه اذاه . وللعقل قوة .
وللنفس نظران : نظر الى فوق نحو العقل ومنه تستمد المعارف
وتميز بين المحاسن والقبايح فتعرف كيف تجرى المحاسن وتجنب
القبايح . ونظر الى تحت نحو الهوى وبه تنسى الحقائق وتألف

الحسيسات بل القاذورات . والنفس متى كانت شريفة ادمت النظر
الى فوق كما ذكرنا ولا تنظر الى مادونها الا عند الضرورة ولا
تناول اللذات البدنية الا بحسب ما يرسمه العقل المستمد من
الشرع او اذا كانت دنيّة اكثر الميل الى الشهوات البدنية فيحدث
ذلك لها اذعاناً وانقياداً للشهوات فيستعبد لها الهوى كما قال الله
تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ الْهَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) وانما
اضله بعد ان اتخذ الهه هواه وجعله عبداً لأغراض دنيوية كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم: تعس عبد الدرهم . . . الخبر . ومن هذه
العبودية استعاذ ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: (وَأَجْنُبْنِي
وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

الباب السادس

في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصيصه بقوة شيء فشيء منها
ذات الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات
صار وعاء معاني العالم وطينة صورته ومعدن آثاره وجمع حقائقه
وكأنه مركب من جمادات ونباتات وبهائم وسباع وشياطين
وملائكة ولذلك قد يظهر في شعار كل واحد من ذلك فيجري
تارة مجرى الجمادات في الكسل وقلة التحرك والانبعاث وعلى هذا

نبه الله تعالى بقوله : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
 او اشد قسوة) وقد يظهر في شعار النباتات الحميدة او الذميمة فيصير
 إما كالأترج^(١) الذي يطيب حمله ونوره^(٢) وعوده وورقه او
 كالنخل والكرم فيما يؤتي من النفع او كالكشوت^(٣) في عدم الخير
 او كالحنظل في خبث المذاق وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : (مثل
 كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها
 كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
 ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت^(٤) من فوق الارض ما لها
 من قرار) . ويظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة والمذمومة فيصير
 اما كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضاره وفي حسن سياسته قال
 الله تعالى : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً
 ومن الشجر ومما يعرشون) او كالطير المسمى بأبي الوفا او كالحنزير
 في الشره او كالذئب في العيث او كالكلب في الحرص او كالنمل
 في الجمع او كالفار في السرقة او كالثعلب في المراوغة او كالقرد في
 المحاكاة او كالحمار في البلادة او كالثور في الفظاظة وعلى هذا

(١) الأترج : فاكهة معروفة الواحدة أترجة . (٢) النور : الزهر

(٣) الكشوت بفتح الكاف وضمها : نبت يتعلق بالأغصان لا عرق له ولا

ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر وهو يفسد الثمار وينصر الأشجار . (٤) الجث

القطع او انتزاع الشجر من اصله

النحو من المشابهات دلَّ الله بقوله : « وما من دابة في الارض ولا
 طائر يطير بجناحيه الاَّ اُمُّ امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء »
 ثم الى ربهم يحشرون » ويظهر تارة في شعار الشياطين فيغوي
 ويضل ويسول بالباطل في صورة الحق كما دلَّ الله تعالى بقوله :
 « شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
 غرورا » وانما يكون انسانا اذا وضع كل واحد من هذه الاشياء
 في موضعه حسب ما يقنضيه العقل المرتضي المستبصر بنور الشرع

الباب السابع

في ماهية الانسان

ماهية كل شيء تحصل بصورته التي يتميز بها عن اغياره كصورة
 السكين والسيف والمنجل ونحوها ولما كان الانسان جزئين بدن
 محسوس وروح معقول كما نبه الله تعالى عليه بقوله : « اني خالق
 بشرا من طين فاذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
 ساجدين » كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة فصورته
 المحسوسة البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن
 الشعر والضحك وصورته المعقولة الروحانية العقل والفكر والروية
 والنطق قالوا فالانسان هو الحيوان الناطق ولم يعنوا بالناطق اللفظ

المعبر به فقط بل عنوانه المعاني المختصة بالانسان فعبروا عن كل
 ذلك بالنطق فقد يعبر عن جملة الشيء بأخص ما فيه او بأشرفه
 او بأوله كقولك سورة الرحمن وسورة يوسف وسورة لا يلاف
 ونحو ذلك فالانسان يقال على ضربين عام وخاص فالعام ان
 يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة العلم والخاص
 ان يقال لمن عرف الحق فاعنقده والخير فعمله بحسب وسعه
 وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً
 وبحسب تحصيله يستحق الانسانية وهي تعاطي الفعل المختص
 بالانسان فيقال فلان اكثر انسانية. وكما يقال الانسان على وجهين
 يقال له الحيوان الناطق على وجهين عام ويراد به من في قوة نوعه
 استفادة الحق والخير كقولك الانسان هو الكاتب دون الفرس
 والحمار اي هو الذي في قوته استفادة الكتابة. وخاص ويراد به
 من حصل الحق فاعنقده والخير فعمله كما يقال زيد هو الكاتب
 دون عمرو اي هو المختص بعلم الكتابة. وكذا يقال له عبد الله على
 وجهين عام ويراد به الحيوان المتعرض لارتسام او امر الله ارتسم
 او لم يرتسم وهو المشار اليه بقوله تعالى: (ان كل من في السموات
 والارض الا آتي الرحمن عبداً) وخاص وهو المرتسم لاوامر
 الله تعالى كما قال سبحانه: (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان)

وكذا يقال له حيٌّ وسميع وبصير ومتكلم وعاقل كل ذلك على وجهين يقال عاماً وهو لمن له الحياة الحيوانية التي بها الحس والتخيل والنزوع والشهوة ولمن سمع الاصوات ولمن يدرك الالوان ولمن يفهم الكافة بما يريد له ومن له القوة التي يتبعها التكليف والثاني يقال له خاصاً وهو لمن له الحياة التي هي العلم المقصود بقول الله تعالى: (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) وله السمع الذي به يسمع حقائق المعقولات والبصيرة التي بها يدرك الاعتبارات واللسان الذي به يورد التحقيقات وهي التي نفاها عن الجهالة الكفرة في قوله تعالى: (صمُّ بكم عمي فهم لا يعقلون)

الباب الثامن

في كون الانسان مستصلاً للدارين

الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقه تصلح للدارين وذلك ان الله تعالى قد اوجد ثلاثة انواع من الأحياء نوعاً لدار الدنيا وهي الحيوانات ونوعاً للدار الآخرة وهو الملائكة الاعلى ونوعاً للدارين وهو الانسان فالانسان واسطة بين جوهرين وضع وهو الحيوانات ورفيع وهو الملائكة فجمع فيه قوى العالمين وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارة والمنازعة

وغير ذلك من اوصاف الحيوانات . وكل ملائكة في العقل والعلم
وعبادة الرب والصدق والوفاء ونحو ذلك من الاخلاق الشريفة
ووجه الحكمة في ذلك انه تعالى لما رشحهُ لعبادته وخلافته وعمارة
ارضه وهياًه مع ذلك لجاورته في جنته اقضت الحكمة ان يجمع
له القوتين فانه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لعبادة
الله تعالى وخلافته كما لم يصلح لذلك البهائم ولا لجاورته ودخول
جنته . ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة
ارضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى في جوابهم :
« إني اعلم ما لا تعلمون » فاقضت الحكمة الالهية ان تجمع له
القوتان وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على ان الانسان دينويٌّ
واخرويٌّ وانه لم يُخلق عبثاً كما نبه الله عليه بقوله : « أفسبتم انما
خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون »

الباب التاسع

في تمثيل ذات الانسان وتصويره

قد ذكر الحكماء لذات الانسان وقواها مثلاً صوراً وهما بها
فيتمثل كل ما لا يدرك الا بالعقل بتصور الحس ليقرب من الفهم
فقالوا ذات الانسان لما كان عالماً صغيراً كما تقدم جرى مجرى

بلد احکم بناؤه وشید بنيانه وحصن سورہ وخطت شوارعه وقسمت
 محاله وعمرت بالسكان دوره وسلکت سبله واجريت انهاره
 وفتحت اسواقه واستعملت صناعه وجعل فيه ملك مدبر والملك
 وزير وصاحب بريد واصحاب اخبار وخازن وترجمان وكاتب
 وفي البلد اخيار واشرار . فصناعها هي القوى السبعة التي يقال لها
 الجاذبة والماسكة والمهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمصورة
 والملك العقل ومنبعه من القلب . والوزير القوة المفكرة ومسكنها
 وسط الدماغ . وصاحب البريد القوة المتخيلة ومسكنها مقدم
 الدماغ . واصحاب الاخبار الحواس الخمس ومسكنها الاعضاء
 الخمسة . والخازن القوة الحافظة ومسكنها خلف الدماغ . والترجمان
 القوة الناطقة وآلتها اللسان . والكاتب القوة الكاتبة وآلتها اليد
 وسكنها الاخيار والاشرار هي القوى التي منها الاخلاق الجميلة
 والاخلاق القبيحة وكما أن الوالي اذا تزكى وساس الناس بسياسة
 الله صار ظل الله في الارض كما روي أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال: السلطان ظل الله في الارض ويجب على الكافة طاعته
 كما قال الله تعالى: « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم »
 كذلك متى جعل العقل سائساً وجب على سائر قوے النفس
 ان تطيعه . وكما ان الله تعالى جعل الناس متفاوتين كما نبه

الله تعالى عليه بقوله : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
 ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » . كذلك جعل قوى النفس متفاوتة
 وجعل من حق كل واحدة ان تكون داخلة في سلطان ما فوقها
 ومتأمرة على مادونها . فحق القوة الشهوانية ان تكون مؤتمرة
 للقوة الغضبية . وحق القوة الغضبية ان تكون مؤتمرة للقوة العاقلة
 وحق القوة العاقلة ان تكون مستضيئة بنور الشرع ومؤتمرة لمراسمه
 حتى تصير هذه القوى متظاهرة غير متعادية كما قال الله تعالى :
 « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرُرٍ متقابلين » .
 وكما لا ينفك اشرار العالم من ان يطلبوا في العالم الفساد ويعادوا
 الاخيار كما قال تعالى : « وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
 مجرمين ليكفروا فيها » . وقال سبحانه : « وكذلك جعلنا لكل نبي
 عدواً شياطين الأنس والجن » . كذلك في نفس الانسان قوى
 رديئة من الهوى والشهوة والحسد تطلب الفساد وتعادي العقل
 والفكر . وكما نبه انه يجب للوالي ان يتبع الحق ولا يصغي الى
 الاشرار ولا يعتمدهم كما قال تعالى : « يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
 بطانة من دونكم » . الآية . وقال تعالى : « يا ايها الذين امنوا
 لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » . وقال : « وان احكم بينهم
 بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم واحذرهم ان يفتنوك » .

كذلك يجب للعقل والفكر ان لا يعتمد القوى الذميمة .
 وكما انه يجب للوالي ان يجاهد اعداء المسلمين كما قال تعالى
 « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
 عدو الله وعدوكم » . كذلك يجب للعقل ان يعادي الهوى فان الهوى
 من اعداء الله بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم : ما في الارض
 معبود ابغض الى الله من الهوى ثم تلا أفرأيت من اتخذ الهه
 هواه . وكما ان من استحوذ عليه الشيطان اساء ذكر الله كذلك
 العقل اذا استحوذ عليه الهوى . وكما انه يجب للوالي ان يسلم
 اعدائه اذا لم يقو عليهم كما قال الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح
 لها » وان لا يركن اليهم وان سالمهم كما قال الله تعالى : « ولا
 تركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » كذلك يجب للعقل ان يسلم
 الاشرار من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها
 وكما ان الوالي اذا احس بقوة احتاج الى ان يعدل الى نقض
 العهد واظهار المعادة كما قال الله تعالى : « فاذا انسخت الاشهر
 الحرم فاقنلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
 واقعدوا لهم كل مرصد » . كذلك حق العقل اذا قوي على قوى
 النفس ان لا يدهنها . وكما ان شياطين الانس والجن يضعف
 كيدهم على من تحصن بالايمان واستعاذ بالله ونقوى على من

والاه كما قال تعالى : « انما سلطنا على الذين يتولونه والذين هم به
 مشركون » كذلك يضعف كيد الهوى عن العقل اذا تقوى بالله
 واستعاذ به . فحقُّ العقل ان يستعيز من الهوى والشهه والحرص
 والامل وان يظهر ذاته منها ومن سائر القوى الرديئة استعاذة ابراهيم
 صلوات الله عليه حيث قال : (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني
 وبني ان نعبد الاصنام) . فالقوى الرديئة والارادات الرديئة في ذات
 الانسان جارية مجرى اصنام قل ما ينفك الانسان من عبادتها
 كما قال الله تعالى : « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون »
 وذكروا مثلاً آخر فقالوا : كل انسان مع بدنه كوال في بلد قيل
 له طهر بلدك من النجاسات وادب من يقبل التأديب من اهله ورؤض
 من يقبل الرياضة من حيوانه وسباعه . ومن عاث^(١) فيه ولا يقبل
 التأديب والرياضة فاحبسه او اقله ولكن بالحق كما قال الله
 تعالى : « ولا تقنلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » فان عجزت
 عن تطهير عرصته من الانجاس وعن تأديب طغاته ورياضة
 حيواناته وسباعه فلا تعجز عن صيانة نفسك عن التلخ بنجاساته
 وعن الاحتراس من ان تفتسك سباعه وان يسبيك طغاته حتى
 اذا لم تكن غالباً لم تكن مغلوباً . فصار الناس في ذلك بين ثلاثة

(١) العيث الافساد

اصناف : صنف لم يفعل ما أمر ولم يؤد حق الإيالة وتهاون فيما
فوض اليه فخرج وأسر فصار عند نفسه مع كونه مجروحاً ما سُوراً
ملوماً مخذولاً . وصنف فعل ما أمر فأدّى حق الإيالة فصار عند
ربه مأجوراً مشكوراً . وصنف جدّ تارة وقصّر تارة فخرج وجرح
وغلب وغلب فهو كما قال تعالى : (خلطوا عملاً صالحاً وآخر
سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم) وقال بعضهم : الانسان اذا اعتبر
مع قوة التخيل وقوة الغضب وقوة الشهوة فمثله مثل من يلي في
سفره بصحبة ثلاثة اضطر اليهم حتى لا يمكنه ان ينفصل منهم
ويقضي سفره من دونهم كما قال الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى عدوّاً له ما من صداقته بدُّ
فيا نكد الدنيا متي انت نازح عن الحر حتى لا يقاربه ضد
فواحدٌ أمامه هو له رقيب يحفظه وعين تكلّاه لكنه ملق (١)

باهت مموه يلفق الباطل تليقاً ويختلق الزور اختلاقاً فيخاطب
الكذب بالصدق والخطأ بالصواب . والثاني عن يمينه بطش زعر (٢)

يحميه عن اعاديه لكنه كثيراً ما يغويه فيهبج هائجه فلا يقمعه
النصح ولا يطاقئه الرفق كأنه نار في حطب او سيل في صلب او
قرم مغتلم (٣) او سبع ثاكل (٤) فيحتاج ان يسكنه دائماً فيحتمي به

(١) الملق المعطي باللسان ما ليس في القلب (٢) شرّس (٣) القرم البعير
والمغتلم الشديد الهياج . (٤) الثكل فقدان الحبيب او الولد

ومنه فهو معه كما قيل : ركب الأسد يهابه الناس وهو في نفسه
اهيب . والثالث عن يساره وهو الذي يأتيه بالمطعم والمشرب
لكنه ارعن ^(١) ملق قدير شبق ^(٢) كانه خنزيراً جيع فأرسل في
جلة ^(٣) يأتيه احياناً بأطعمة خبيثة فيكرهه على تناولها فهو يحتاج ان
يصابره ثم حتى يقطع سفره فيبلغ ارضاً مقدسة يشرق فيها النور
ويشرب فيها الذئب والنعجة من حوض واحد فيأمن فيها بوائقهم
ومن حيلته التي ترجى ان يسلم منهم بها ان يسلم هذا البطش
الزعر على هذا الارعن الملق حتى يزبره زبراً ^(٤) وان يطفي غلوه هذا
الزعر التائه بجلافة هذا الارعن الملق وان لا ينجح الى الباهت
المتخرس حتى يؤتبه موثقاً من الله غليظاً ثم يصدقه فيما ينهيه
اليه فجعل الملق الباهت كناية عن الوهم والبطش الزعر عن الغضب
والارعن الملق عن الشهوة وجعل الارض المقدسة عبارة عن دار
السلم وذكر ان حيلته في ان يسلم منهم ان يدفع بعض هذه القوى
ببعض دفع الشر بالشر

(١) الرعونة الحمق . (٢) الشبق الشديد الغلظة والشهوة (٣) الجلة
بالفتح البعرة وتطلق على العذرة (٤) الزبر الزجر والانتهاز

الباب العاشر

في كون الانسان هو المقصود من العالم
وايجاد ما عداه لاجله

المقصود من العالم وايجاده شيئاً بعد شيء هو ان يوجد
الانسان فالغرض من الاركان ان يحصل منها النبات ومن النبات
ان تحصل الحيوانات ومن الحيوانات ان تحصل الاجسام
البشرية ومن الاجسام البشرية ان يحصل منها الارواح الناطقة
ومن الارواح الناطقة ان يحصل منها خلافة الله تعالى في ارضه
فيتوصل بايفاء حقها الى النعيم الابدي كما دل الله تعالى عليه
بقوله: (اني جاعل في الارض خليفة) . وجعل تعالى الانسان
سلالة العالم وزبدته وهو المخصوص بالكرامة كما قال تعالى: (ولقد
كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) . وجعل ما سواه كالمعونة
له كما قال تعالى في معرض الامتنان: (هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعاً) . فليس فضله بقوة الجسم فالقيل والبعير اقوى
جسماً منه ولا بطول العمر فالنسر والحية اطول منه عمراً ولا بشدة
البطش فالاسد والنمر اشد منه بطشاً ولا بحسن اللباس فالطاووس

والدرج^(١) احسن منه لباساً ولا بالقوة على النكاح فالحمار والعصفور
اقوى منه نكاحاً ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن والجبال
اكثر منه ذهباً وفضةً وما احسن قول الشاعر :

لولا العقول لكان ادنى ضعيف ادنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت ايدى الحكمة عوالي المرآت

ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال : (خلقني
من نار وخلقته من طين) . بل ذلك بما خصه الله تعالى به وهو
المعنى الذي ضمنه فيه والامر الذي رشحه له وقد اشار اليه تعالى
بقوله : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين »
وبقوله : « خلقت يدي » . والملائكة لما نبههم الله تعالى لفضل
آدم تنبهوا فاذعنوا وسجدوا له كما أمروا . وابليس لما نظر الى ظاهر
آدم وبدئه وتعامى عما ذكر الله تعالى ولم يتأمل المعنى الذي ضمنه
الله تعالى آدم والعاقبة التي جعلها له ابى واستكبر . وقد اقتدى
به الكفار في رد الانبياء حيث قالوا : « ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم » . وقالوا : « ما لهذا الرسول يا كل الطعام
ويمشي في الاسواق » . وقد نبه الله تعالى على ان الاعتبار بفضله
ليس بظاهر ابدانهم وانما ذلك لمعاني في نفوسهم يعنى عنها الكفار

(١) الدرّاج بالضم والتشديد ضرب من الطير ذكر اكان او انثى

فقال عز من قائل : «وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون» .
اي لا يعرفون ما فضلتمهم به . فمن وفق لفضل ما اعطي ولما رشح
له واعده ثم سعى في مثاله فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الأولوالالباب

الباب الحادي عشر

في الغرض الذي لاجله اوجد الانسان ومنازلهم
الغرض منه ان يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر ارضه كما نبه
الله تعالى بايات في مواضع مختلفة حسب ما اقتضت الحكمة ذكره
وذلك قوله تعالى : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» .
وقوله : اني جاعل في الارض خليفة . وقوله : ليستخلفنهم في
الارض . وقوله : ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . وقوله : يا ايها
الذين آمنوا كونوا انصار الله . وقوله : واستعمركم فيها . وكل ذلك
اشارة الى توليتهم اموراً لم يستصلح لها الا الانسان كما نبه الله تعالى
عليه بقوله للملائكة : «اني اعلم ما لا تعلمون» . وذلك ان الله
تعالى ما كان موجداً لما هو موجوده وفاعلاً لما هو فاعله الا على
اربعة اوجه :
الاول افعال توليها بذاته وهي الابداع ومعنى الابداع

هو ايجاد الشيء من العدم واليه الاشارة بقوله تعالى : « بديع السموات والارض »

والثاني افعال استعبد فيها ملائكته وسماه قوم التكوينات وذلك اخراج الشيء من النقص الى الكمال اخراجاً غير محسوس فاعله وبذلك وصفهم الله تعالى بقوله : فالمدبرات امرأاً وهم ثلاثة اضرب ضرب اليهم القيام بالاجرام السماوية وقد قيل هم اسرافيل وميكائيل وجبرائيل ورضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين . وقوله تعالى : الذين يحملون العرش ومن حوله . الآية » . وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية كالملائكة الباعثة للرياح والمزجية للسحاب الموصوفين بقوله تعالى : والمرسلات عرفاً . وقوله عز وجل : والنازعات غرقاً . وضرب اليهم تدبير الارض كالموصوفين بقوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » . وممن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنين انه يبعث ملكاً فينفخ فيه الروح والحفيظ والرقيب والعتيد وممن وصفهم الله بقوله : « ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين »

والثالث افعال^{هـ} سخر الله تعالى لها الاركان وموجودات
العالم كالأحراق والاذابة للنار والترطيب للماء وفي الجملة ما قد سخر
تعالى له شيئاً فشيئاً من الجمادات والناميات وغير ذلك ونبه عليه
بقوله تعالى: « وسخر لكم الشمس والقمر » وغير ذلك من الايات
المذكورة

والرابع الصناعات والمهن المحسوسة التي استعبد الانسان فيها
واستخلفه وهي الاشياء التي يحتاج صناعة اكثرها الى ستة اشياء
الى عنصر تعمل منه والى مكان والى زمان والى حركة والى اعضاء
والى آلة وهذا الضرب خص الانسان به ولم يستصلح له الملائكة
وجعل لكل من الملك مقاماً معلوماً كما نبه عليه تعالى بقوله: «وما
منا الا له مقام معلوم» . وكذلك جعل لكل نوع من الناس مقاماً
معلوماً كما نبه عليه بقوله: «قل كل يعمل على شاكلته» وقوله:
« انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » . وقول النبي صلى الله
عليه وسلم كل^{هـ} ميسر لما خلق له . ولكن عامة الملائكة لم يعصوا
الله فيما امرهم كما وصفهم تعالى بقوله: « لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون * » والناس فيما امروا به وكلفوه بين مطيع
وعاص فهم على القول المجمل ثلاثة اضراب: ضرب اخلوا بأمره
وانسلخوا عما خلقوا لاجله واتبعوا خطوات الشيطان وعبدوا

الطاغوت . وضرب وقفوا^(١) بغاية جهدهم حيث ما وقفوا كالموصوفين
 بقوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً »
 وضرب ترددوا بين الطريقين كما قال الله تعالى : « خلطوا عملاً
 صالحاً وآخر سيئاً » فمن رجع حسناته على سيئاته فمعود بالاحسان
 اليه . وعلى الانواع الثلاثة دل الله تعالى بقوله : (وكنتم ازواجاً
 ثلاثة فأصحاب المينة ما اصحاب المينة واصحاب المشمة ما اصحاب
 المشمة والسابقون السابقون اولئك المقربون) وعلى هذا اقسام الله
 تعالى في آخر السورة فقال : (فأما إن كان من المقربين فروح
 وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
 من اصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
 من حميم وتصلية جحيم) . وكثير من الناس يعصون الله ولا يأتون
 له فقيضهم الله تعالى بغير ارادة منهم للسعي في نصرته من حيث
 لا يشعرون كفرعون في اخذ موسى وتربيته . وجمعه السمرة
 ليكون سبباً في ايمانهم . واخوة يوسف في فعلهم ما اقتضى به الى
 ملك مصر وتمكنه مما تمكن منه ويكون مثلهم في ذلك كما قيل :

قصدت مساتي فاجتلبت مسرتي

وقد يحسن الانسان من حيث لا يدري

(١) في نسخة وفقوا

وقال آخر:

فعل الجمیل ولم یکن من قصده فقبلته وقرنته بذنوبه
ولرب فعل جاءني من فاعل فحمدته ودمت من يأتي به

فيكون فعله محموداً وفاعله مذموماً كما قيل:

رُبَّ امرٍ اتاك لا تحمد الـ فُعَّالٌ وتحمد الافعالا

وقد اوجد الله تعالى كل ما في العالم للانسان كما نبه عليه
بقوله تعالى: « جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من
السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » . وقال تعالى: (وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض . . . الآية) . وقال عز وجل:
« وسخر لكم ما في الارض » . وقول تعالى: « هو الذي انزل من
السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسْمِون يُنبِت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار . . . الآية » . وابع جميعها
لهم كما نبه الله تعالى عليه بقوله: « قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق » . فللانسان ان ينتفع بكل
ما في العالم على وجهه اما في غذائه او في دوائه او في ملابسه
ومشموماته ومرتباته وزينته والالتذاذ بصورته ورؤيته والاعتبار

به وباستفادة علم منه والاقنداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب
 عنه فيما يستقبح منه فقد نبه الله تعالى على منافع جميع الموجودات
 واطلع الخلائق عليها اما بالسنة الانبياء عليهم السلام او بالهام
 الاولياء رضي الله عنهم وكما أنَّ حق الانسان ان يعرف منافع
 الحيوانات في ذواتها فينتفع بها في المطاعم والملابس والادوية فحقه
 ان يعرف اخلاقها وافعالها فينتفع بها في اجتناء ما يستحسن
 واجتناب ما يستقبح منها . فقد احسن من قال : تعلمت من كل
 شيء احسن ما فيه حتى من الكلب حمايته على اهله . ومن الغراب
 بكوره في حاجته . وقد اشار الله تعالى الى ذلك في وصف النحل
 فقال : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال
 بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات . الآية »
 فنبه على ان الانسان حقه ان يقندي بالنحل في مراعاته لوحى الله
 عز وجل فكما انها لا يتخطى وحي الله في تحري المصالح طبعاً كذلك
 يجب على الانسان ان لا يتخطى وحي الله اختياراً

الباب الثاني عشر

في تفاوت الناس واختلافهم

الأشياء كلها متساوية غير متفاوته من حيث انها مصنوعة بالحكمة وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » . ومختلفة من حيث ان كل نوع يختص بفائدة وكل نوع وان اختلف فما من شيء اكثر اخلافا من الناس كما قال الله تعالى: « وقد خلقكم اطوارا . وقال تعالى: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . وقال سبحانه وتعالى: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا . وقال سبحانه: ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم . وقال تعالى: ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة . الآية . وقال تعالى: وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم . وقال سبحانه: ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك . وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله: وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع الى قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون » . والحكمة المقنضية لذلك هو ان الانسان لما كان

غير مكفي بتفرده حتى لو ان انساناً حصل وحده لا تمتنع او تعذر
بقاؤه ادنى مدة فان اول ما يحتاج الانسان اليه ما يواريه وما يغذوه^(١)
وليس يجد ما يواريه مصنوعاً ولا ما يغذوه مطبوخاً كما يكون
لكثير من الحيوانات بل هو مضطر الى اصلاحهما واصلاح ذلك
يجوجه الى آلات غير مفروغ منها والانسان الواحد لا توصل له الى
اعداد جميع ما يحتاج اليه ليعيش العيشة الحميدة فلم يكن بدُّ الناس
من تشارك وتعاون فجعل لكل قوم صنعة وهيئة مفارقة للصنعة
الأخرى ليقتسموا الصناعات بينهم فيتولى كلُّ منهم صنفاً من
الصناعات فيتعاطاه باهتزاز كما قال الله تعالى : « فنقطعوا امرهم
بينهم زُبراً كلُّ حزب بما لديهم فرحون » . فاقنضت الحكمة ان
تختلف جثتهم وقواهم وهممهم فيكون كلُّ ميسرٌ لما خلق له . وقال
تعالى : « قل كلُّ يعمل على شاكلته » . فتكون معاشهم مقسمة
بينهم كما نبه الله عليه بالآيات المتقدمة . وقال تعالى : « ولو شاء
ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين الا من رحم
ربك » . والاختلاف الحاصل بين الناس اذا اعتبر اختلاف
اغراضهم وهممهم فهم في صناعاتهم في حكم المسخرين وان كانوا

(١) يقال عدوتُ الصبي باللبن من باب عدا اي ربيته ولا يقال
غذيته بالياء مخففاً ويقال غذيته مشدداً اذا غداه .

في الظاهر مختارين . وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يتعلق
من المصلحة بقبائليهم واختلاف طبقاتهم فقال : لا يزال الناس بخير
ما تباينوا فاذا تساوا هلكوا

الباب الثالث عشر

في سبب تفاوت الناس

اسباب ذلك سبعة اشياء الاول اختلاف الأمزجة وتفاوت
الطينة واختلاف الخلقة كما اشير اليه فيما روي ان الله تعالى لما
اراد خلق آدم عليه السلام امر ان يؤخذ من كل ارض قبضة
فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر والايض والاسود والسهل
والحزن والطيب والخبيث والى نحو هذا اشار الله تعالى بقوله :
« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا
نكدا » . وقال تعالى : « هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء » * والثاني اختلاف احوال الوالدين في الصلاح والفساد
وذلك ان الانسان قد يرث من ابويه آثار ما هما عليه من جميل
السيرة والخلق وقبيحهما كما يرث مشابتهما في خلقهما ولهذا قال
الله تعالى : « وكان ابوهما صالحا » . وعلى نحوه روي انه قال التوراة :
إني اذا رضيت بركت وإني اذا بركتي لتبلغ البطن السابع واذا

سَخِطْتُ لَعْنَتُ وَإِنْ لَعْنَتِي لَتَبْلُغُ الْبَطْنَ السَّابِعَ تَنْبِيهَا عَلَى أَنْ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ
الَّذِي يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَخَلَّقُ بِهِ بَقِي أَثَرُهُ مُورِثًا إِلَى الْبَطْنِ السَّابِعِ *
وَالثَّلَاثُ اخْتِلَافٌ مَا تَكُونُ مِنْهُ النُّطْفَةُ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا الْوَلَدُ وَدَمُ
الطَّمْثِ الَّذِي يَتَرَبَّى بِهِ الْوَلَدُ فَذَلِكَ لَهُ تَأْثِيرٌ بِحَسَبِ طَيْبِ مَا تَكُونُ
مِنْهُ وَخَبَثِهِ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَيَّرُوا لِنُطْفَتِكُمْ . وَقَالَ :
النَّاسُ كَالْحَيْضِ فَمَنْ نَظَرَ أَحَدَكُمْ مِنْ يَمِينِ غُرْسِهِ . وَقَالَ : أَيَاكُمْ وَخَضِرَاءُ
الدِّمَنِ قِيلَ وَمَا خَضِرَاءُ الدِّمَنِ . قَالَ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمَنْبِتِ
السُّوءِ * وَالرَّابِعُ اخْتِلَافٌ مَا يَتَفَقَدُ بِهِ مِنَ الرِّضَاعِ وَمَنْ طَيْبَ الْمَطْعَمَ
الَّذِي يَتَرَبَّى بِهِ وَلِتَأْثِيرِ الرِّضَاعِ يَقُولُ الْعَرَبُ لِمَنْ تَصِفُهُ بِالْفَضْلِ :
لِلَّهِ دَرُهُ * وَالخَامِسُ اخْتِلَافٌ أَحْوَالِهِمْ فِي تَأْدِيبِهِمْ وَتَلْقِينِهِمْ وَتَطْيِيعِهِمْ
وَتَعْوِيدِهِمْ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْقَبِيحَةِ فَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِينَ أَنْ
يُؤْخَذَ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَخْطَارِ الْحَقِّ بِبَالِهِ وَتَعْوِيدُهُ فِعْلَ الْخَيْرِ
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَرُّهُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ وَأَضْرَبُوهُمْ
لِعَشْرٍ . وَيَجِبُ أَنْ يُصَانَ عَنِ مَجَالَسَةِ الْأَرْدِيَاءِ فَانَّهُ فِي حَالِ صَبَاهِ
كَالشَّمْعِ يَتَشَكَّلُ بِكُلِّ شَيْءٍ يُشَكَّلُ بِهِ وَإِنْ يَحْسُنُ فِي عَيْنِهِ الْمَدْحُ
وَالكِرَامَةُ وَيَقْبَحُ عِنْدَهُ الدَّمُ وَالْمَهَانَةُ وَيَبْغُضُ إِلَيْهِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَأْكَلِ
وَالْمَشَارِبِ وَيَعْوَدُ الْاِقْتِنَادَ فِي تَنَاوُلِهَا وَمُخَالَفَةَ الشَّهْوَةِ وَمُجَانِبَةَ ذَوِي
السُّخْفِ وَيُؤْخَذُ بِقَلَّةِ النَّوْمِ فِي النَّهَارِ فَهُوَ يَشِيبُ وَيُورِثُ الْكَسْلَ

ويعود التآني في افعاله واقواله ويمنع من مفاخرة الاقران ومن
 الضرب والشتم والعبث والاستكثار من الذهب والفضة ويعود
 صلة الرحم وحسن تأدية فروض الشرع . قال بعض الحكماء : من
سعادة الانسان ان يتفق له في صباه من يعود تعاطي الشريعة
حتى اذا بلغ الحلم وعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده قويت
بصيرته ونفذت في تعاطيها عزمته * والسادس اختلاف من
 يتخصص به ويخالطه فيأخذ طريقته فيما يتذهب به (عن المرء
 لا تسأل وابصر قرينه) * والسابع اختلاف اجتهاده في تزكية
 نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه . والفاضل التام الفضيلة
 من اجتمعت له هذه الأسباب المسعدة وهو ان يكون طيب
 الطينة معتدل الامزجة جارياً في اصلا بآباء صالحين ذوي
 امانة واستقامة متكوناً من نطفة طيبة ومن دم طمّث طيب على مقضى
 الشرع ومرتضعاً بدراً طيب وما أخذ في صغره من قبل مربيه
 بالاداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصاً بعد
 بلوغه بمذهب حق ومجهداً نفسه في تعرف الحق مسارعاً الى الخير
 فمن وفق في هذه الأشياء تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات
 كما قال الله تعالى : « لا تكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم » .
 ويكون جديراً ان يعد من وصفه الله تعالى بقوله : « وانهم عندنا

لمن المصطفين الاخير» . والرذل التام الرذيلة هو من يكون
 بعكس هذا في الامور التي ذكرناها * واعلم ان من طابت احواله
 انتفع بكل ماسمعه وشاهده ان خيراً وان شراً ومن خبثت احواله
 استضر بكل ماسمعه وشاهده وعلى ذلك دلّ الله تعالى بقوله :
 « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا
 نكداً » . فالخبيث من الارض وان طاب بذره وعذب ماؤه
 لا ينبت الا خبيثاً والطيب من الارض وان كدر بذره وملح
 ماؤه لا ينبت الا طيباً ولذلك قال سبحانه وتعالى في كتابه :
 « تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل » . وقال
 في صفة كتابه : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين
 لا يؤمنون في آذانهم وقرء وهو عليهم عمى »

الباب الرابع عشر

في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
 اقتضت الحكمة ان تكون الشجرة النبوية صنفاً مفرداً ونوعاً
 واحداً واقعاً بين الانسان وبين الملك ومشاركاً لكل واحد منهما
 على وجه فانهم كالملائكة في اطلاعهم على ملكوت السموات
 والارض وكالبشر في احوال المطعم والمشرب . ومثله في كونه

واقعاً بين نوعين مثل المرجان فانه حجر يشبه الأشجار بتشذب^(١)
اغصانه وكالنخل فانه شجر شبيه بالحيوان في كونه محتاجاً الى
التلقيح وبطلانه اذا قطع رأسه . وجعل الله النبوة في ولد ابراهيم
ومن قبله في نوح كما نبه عليه بقوله : « ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب . وقال تعالى : ذرية بعضها من
بعض » . فهم عليهم السلام وان كانوا من حيث الصورة كالبشر
فهم من حيث الارواح كالملاك قداً يدو بقوة روحانية وخصوا بها
كما قال الله تعالى في عيسى عليه السلام : « وايدناه بروح القدس »
وقال في محمد صلى الله عليه وسلم : « نزل به الروح الامين على قلبك
لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . وتخصيصهم بهذا الروح
ليمكنهم ان يقبلوا من الملائكة لما بينهم من المناسبة بتلك الارواح
ويلقون الى الناس لما بينهم من المناسبة البشرية لذلك قال سبحانه :
« ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » . تنبيها
على ان ليس في قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان
يقبلوا الا من البشر . ولما عمي الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعموا
للانبياء من الفضيلة انكروا نبوة الانبياء كما قال الله تعالى :
« قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباءنا

(١) اي بتفرق

فأتونا بسافطان ميين» . فالأنبياء صلوات الله عليهم بالاضافة الى
سائر الناس كالانسان بالاضافة الى الحيوانات وكالقلب
بالاضافة الى سائر الجوارح وايضاً فنزلة الانبياء من أممهم بمنزلة
الشمس من القمر ومنزلة علمهم من علوم أممهم بمنزلة ضوء الشمس من
نور القمر كما قال الله تعالى: «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نوراً» . فكما ان نور القمر مقتبس من ضوء الشمس وهو قاصر عنها
كذلك منزلة الأمم من انبيائهم ومنزلة علمهم من علومهم . وكما
لايحصل النور للقمر الا بوساطة الشمس كذلك لا تحصل علوم
الناس وتزكية نفوسهم الا بوساطة الانبياء وعلى هذا دل الله
تعالى بقوله: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم» .
فالله تبارك وتعالى يزكي الانبياء بوساطة الملك ويزكي من يشاء
من الناس بوساطة الانبياء كالطابع الذي جعل له كتابة شم
بوساطته يثبت في الشموع المختلفة شكل تلك الكتابة



الباب الخامس عشر

في هداية الاشياء الى مصالحها

كل ما اوجده الله سبحانه فانه هداة لما فيه مصلحة كما نبه عليه بقوله تعالى : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . لكن هدايته للجادات بالتسخير فقط كالاشياء الارضية التي اذا تركت نحو نحو السفلى وكالنار التي تنحو الى العلو . وهدايته للحيوانات الى افعال تغاها بالتسخير والالهام كالنحل فيما يتعاطى من السياسة واتخاذ البيوت المسدسة ومن عمل العسل . وكالسرفه^(١) فيما تبنيه من الابنية . وكالغنكبوت في نسجه . وهدايته للملائكة بالتسخير والالهام وبيدها العقل وما جعل لها من العلوم الضرورية فاما الانسان فهدايته له تعالى بكل ذلك وبالفكر . وذلك انه بالتسخير بنفسه وكثير من حركاته وبالالهام هدايته طفلا للارتضاع بالثدي وطلب الغذاء والتشكي من الالام بالبكاء وببديهية العقل يعرف مبادي العلوم وبالفكر يتوصل الى استنباط المجهول

(١) السرفة بالضم دويبة تتخذ بيتاً من دفاق العيدان فتدخله وتموت ومنه المثل (اصنع من سرفة) . وسرفت السرفة الشجرة اكلت ورقها ومنه السرف الذي هو الحد في النفقة

بالمعلوم فهو ان خلق عارياً من المعارف التي جعلها الله تعالى
 للحيوانات بالالهام ومن الملابس والاسلحة التي جعلها لها بالتسخير
 فقد جعل للانسان قوة التعلم بالعقل والفكر وتحصيل الملابس
 والاسلحة والالات المختلفة ووكله الى نفسه من الاستفادة ومكّنه
 من ذلك وذلك فضيلة لا تقيصة ورفعة لا ضعة فانه باعطائه العلم
 والعقل واليد العاملة قد اعطاه كل شيء ولو أُعطي كل شيء حسب
 ما اعطي البهائم شيئاً فشيئاً لكان قد منع كل شيء لان بعضه
 كان يمنعه عن استعمال البعض . والى تمكن الانسان من تحصيل
 ما يريد اشار الله تعالى بقوله : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم
 لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون »
 وقد ظن قوم ان الله تعالى خلق الناس من بين الحيوانات خلقاً
 منقوصاً اذ لم يعطوا سلاحاً يدفعون به عن انفسهم كما اعطى
 كثيراً من الحيوانات اسلحة كالانياب والمخالب اذ لم يكفهم لباسهم
 كما كفى الحيوان بل قد احوجهم الى تطهير البدن وقد اغناها
 عنه قالوا ولذلك قال الله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفاً » .
 وليس كذلك والصحيح عند المخلصين ان الانسان وان كان
 ضعيفاً بالاضافة الى الباري تعالى والى الملائ الا على فليس يقصر
 عن الحيوان جميعه من جهة ماظنوه فان الله تعالى بحكمته البارعة

اعطى كل واحد من الحيوان سلاحا بقدر ما علم من مصلحته
 فبعض جعل له آلة الحرب كالعدو وبعض جعل له رمحا يدفع به
 كالقرون للبقر والغنم وبعض دبوساً كالحافر للفرس والحمار وبعض
 نشاباً كالشوك للقنفذ وجعل لكل لباساً بحسب كفايته
 والهم كلاً منها صنعة يتعاطاها بطبعه وجعل للانسان بدل ذلك
 الفكر والتميز الذي يمكنه ان يتخذ به كل آلة وكل ملبس على قدر
 حاجته اليه ويتناوله متى شاء ويضعه متى احب ويستبدل به كيفما
 اراد والحيوانات ليس لها ان تضع اسلحتها متى ما استغنت عنها ولا
 ان تستبدل بها فهذا دليل على تمام الانسان ونقصان الحيوانات
 والانسان بالفكر والروية يقهر الحيوانات التي هي اقوى منه لانه
 يهيء بفكرته لكل منها آلة يصطادها بها فاذا العقل الذي اعطاه
 ليحصل به كل ما يحتاج اليه اعلى واشرف فانه مرآة اذا جلاها اطلع
 بها على ملكوت السموات والارض



الباب السادس عشر

في سعادة الانسان ونزوعه اليها

قال بعض الحكماء : جعل الله لكل شيء كمالاً ينساق اليه
 طبعاً وقد هداه الى التخصيص به تسخييراً كما نبه الله عليه بقوله
 تعالى : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . وللانسان سعادات
 ابيحت له وهي النعم المذكورة في قوله تعالى : « وان تعدوا نعمة
 الله لا تحصوها » وجميع النعم والسعادات على القول المجمل
 ضربان ضرب دائم لا يبید ولا يحول وهو النعم الأخروية .
 وضرب يبید ويحول وهو النعم الدنيوية . والنعم الدنيوية متى لم
 توصلنا الى تلك السعادات فهي كسراب بقية وغرور وفتنة
 وعذاب كما وصفه الله تعالى في كتابه : « انما مثل الحياة الدنيا كماء
 انزلناه من السماء . . الآية » . وما صدق ما قال الشاعر :

انما الدنيا كرويا افرحت من رآها ساعة ثم انقضت

فصل

ما احد الا وهو فازع الى سعادة يطلبها بجهد ولكن كثيرا
 ما يخطيء فيظن ما ليس بسعادة في ذاته انه سعادة فيغتر بها فيكون
 كالموصوف بقول الله تعالى : « والذين كفروا اعمالهم كسراب

بقية يحسبه الظمان ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً . وبقوله
 تعالى : « اعلمهم كرماد اشدت به الريح في يوم عاصف لا يقدر
 ون مما كسبوا على شيء » وقال الشاعر :

كلُّ يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعة
 والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار العناء على الدعة

فصل

النعم الدنيوية انما تكون نعمة وسعادة متى تنوالت على ما
 يجب وكما يجب ويجري بها على الوجه الذي لاجله خلق وذلك
 ان الله جعل الدنيا عارية ليتناول منها قدر ما يتوصل به الى النعم
 الدائمة والسعادة الحقيقية . وشرع لنا في كل منها حكماً بين فيه
 كيف يجب ان يتناول ويتصرف فيها لكن صار الناس في تناولها
 فريقين فريق يتناولوه على الوجه الذي جعله الله لهم فانتفعوا به
 فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله تعالى : « الذين
 ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف
 ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور . وقوله عز وجل : للذين
 احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين
 وقوله تعالى : والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوانهم في
 في الدنيا حسنة » . فهؤلاء حيوا بها حياة طيبة كما قال تعالى :
 (فلنحيينه حياة طيبة) * وفريق يتناولوها لاعلى الوجه الذي

جعلها الله لهم فركنوا اليها فصار ذلك لهم نقمة وشقاوة فتعذبوا بها عاجلاً وأجلاً وهم الموصوفون بقوله تعالى: (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون)

فصل

والسعادات الأخروية ليس لنا تصور كنهها ما دمنا في دار الدنيا ولذلك قال تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين) . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر* والسبب في قصورنا عن تصورها شيئان: احدهما ان الانسان لا يمكن ان يعرف حقيقة الشيء وتصوره حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه ووصف له يجري مجرى صبي توصف له لذة الجماع فلا يمكن ان يتصور حقيقته حتى يبلغ فيباشره بنفسه وكالأمه توصف له المرآة وحالنا في اللذة الأخروية هكذا فاننا لا نتصورها على الحقيقة الا اذا طالعناها فاذا طالعناها شغلنا الفرح والتلذذ بها عن كل مادونها كما قال تعالى: « اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون »* والثاني ان لكل قوة من قوى النفس وجزء من اجزاء البدن لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيرها فلذة العين في النظر الى ما تستحسنه ولذة السمع في الاستماع الى ما يستطيعه

ولذة اللمس في لمس ما يستلذه ولذة الوهم في تصور ما يؤمله ولذة
الخيال في تخيل ما يستحسن تصوره ولذة الفكر في امر مجهول عنده
يتعرفه وكل واحد من هذه القوى والاجزاء اذا عرض لها آفة
تعوقها عن شهوتها وعن ادراك لذتها يكون كالمريض الذي
لا يشتهي الماء وكان به ظمأً واذا تناوله لم يجد له لذة كما قال الشاعر:
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرًا به الماء الزلالا
واذا كان كذلك فاللذات الاخروية هي لذات لا تدرك
الا بالعقل المحض وعقول اكثر من في هذه الدار موهلة معوقة عن
ادراك حقائق اللذات الاخروية فلا تشعر بها كالحذر^(١) لآفة
عرضت له فلا يحس بالسبب المؤلم . وكالمريض الذي لا يحس
بالجوع وان كان جوعه يؤذيه ولا يشتهي الطعام ان كان فقد
الطعام يرضيه بل انما يحس بالجوع اذا زال السبب المؤلم . وايضاً
فعقول اكثرنا ناقصة وجارية مجرى عقول الصبيان الذين لم يبلغوا
مبلغ رجال قد عرفوا حقائق الاشياء فكما ان الصبيان ما داموا
صغاراً لا يحسون باللذات والآلام التي تعرض للرجال فيتعلمون
بالباطيل والاضاليل كذلك من كان في عقله صبيّاً لم يطالع على
الحقائق وبالاعتبار بهم قال الله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا

(١) خدر العضو استرخى فلا يطبق الحركة

الألهو ولعب . وقال تعالى : فلا تغربنكم الحياة الدنيا ولا يغربنكم
 بالله الغرور . ولما أراد الله تعالى ان يقرب معرفة تلك الذات من
 افهام الكافة شبهها ومثلها لهم بانواع ما تدر كها حواسهم فقال تعالى :
 « مثل الجنة التي وعد المنقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار
 من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
 مصفى » . ليبين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم وقال :
 « مثل الجنة التي وعد المنقون » . ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على
 ان ذلك تصوير وتمثيل فالانسان وان اجتهد ما اجتهد ان يطلع
 على تلك السعادة فلا سبيل له اليها الا على احد وجهين احدهما
 ان يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك
 كما قال الله تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً
 ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً قل انتظروا
 انا منتظرون » . والثاني ان يزيل قبل مفارقة الهيكل الامراض
 النفسانية المشار اليها بقوله تعالى : « في قلوبهم مرض فزادهم الله
 مرضاً » وارجاسها المشار اليها بقوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب
 عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » فيطلع من وراء ستر
 رقيق على بعض ما أعد له كما حكي عن حارثة حيث قال للنبي

صلى الله عليه وسلم عزفت^(١) نفسي من الدنيا فكأنني انظر الى
 عرش ربي بارزاً واطلع على اهل الجنة يتزاورون وعلى اهل
 النار يتعاوون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم .
 وقال امير المؤمنين علي عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت
 يقيناً

الباب السابع عشر

في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها
 الانسان مسافر ومبدأ سفره من حيث ما اشار اليه تعالى
 بقوله : «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوؤم ولكم في الارض مستقر
 ومتاع الى حين» . وحيث قال في صفة نبيه : «واذا اخذ ربك
 من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم اأست
 بربكم قالوا بلى» . ومنتهى سفره دار السلام ودار القرار . وله
 في سفره اربعة منازل ظهر ابيه وبطن امه وظهر الارض والموقف
 وله حالتان حالة هو فيها مستودع وهو ما دام في هذه المنازل
 وحالة هو فيها مستقر وهو اذا حصل في دار القرار والى ذلك
 اشار الله تعالى بقوله : «وهو الذي انشأكم من نفس واحدة

(١) عزفت عن الشيء انصرف عنه

فمستقر ومستودع» . والمنزل الذي فيه يحتاج الى تزودٍ ظهرُ
الارض فالانسان في كدح وكبد^(١) ما لم ينته الى دار القرار كما
قال الله تعالى : « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً
فملاقية » . وقال تعالى : « لقد خلقنا الانسان في كبد » . وهو
مجبول على طلب الراحة لكن الناس في طلبها على ضربين ضرب
عموا عن الآخرة وقالوا : « ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا »
او فعلوا فعل من قال ذلك وان لم يقولوا قولهم فطلبوا الراحة من
حيث لا راحة وهم كالموصوفين بقوله عز وجل : « والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئاً » . وقوله : « انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض . . » الآية . فانهم طلبوا من الدنيا
ما ليس في طبيعتها ولا موجوداً فيها ولها . وما احسن قول الشاعر :
اريد من زميـني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
وقال آخر :

مضى قبلنا قوم رجوا ان يقوّموا بلا تعب عيشاً فلم ينقوّم
وضرب عرفوا الدنيا والآخرة وعلّوا ان الدنيا كما قال الله
تعالى : « ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وان الدار الآخرة

(١) الكدح العمل والكبد . والكبد الشدة وكابد الامر قاسى شدته

لهي الحيوان» . وعلما ان فيها يسنقر الانسان ويطمئن كما قال الله
 تعالى : « يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » .
 وانه يحتاج الى ان يسافر اليها كما قال عليه السلام : سافروا تغموا .
 فاحتملوا المشقة علماً ان كل تعب يؤديهم الى راحة فهو راحة
 فسعدوا كما قال الله تعالى : « فاما الذين سعدوا ففي الجنة » .
 وقد جعل للانسان حريتين مفيدتين لزادين احدهما روحاني
 كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الحميدة وثمرته الحياة
 الابدية والغنى الدائم والاستكثار منه محمود ولا يكاد يطلبه الا
 من قد عرفه وعرف منفعته . والثاني جسماني كالمال والاثاث
 وفي الجملة ما قد نبه الله تعالى عليه بقوله : « زين للناس حب
 الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
 والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث » . وثمرته ان تحصل
 به الحياة الدنيوية الفانية ويسترجع من الانسان اذا فارق دنياه
 ولا ينتفع منه بشيء الا بقدر ما استعان به في الوصول الى الزاد
 الاخروي كما نبه الله تعالى عليه بقوله : « وما الحياة الدنيا في
 الآخرة الا متاع » . ولا يولع بالركون اليها الا من جهل حقائقها
 ومنافعها . والاستكثار منه ليس بمذموم ما لم يكن مشبهاً لصاحبه
 عن مقصده وكان متناولاً على الوجه الذي يجب وكما يجب

ومجوعاً إلى الوجه الذي ينتفع به في مقصده لكن تناوله على هذا
الوجه والاستكثار منه لا يتأتى إلا إذا كان السلطان عادلاً والامور
جارية على أذلالها^(١) فيحفظ الناس معاملاتهم على مقضى الشرع
ثم يكون صاحبه إذا تناوله كما قال تعالى: «ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة». فاذا لم يكن الامر كما ذكرنا من الاستقامة فليس
إلا الاقنصاد والاقنصار والتبليغ بما يمكن حتى ينقضي السفر.
والموفق في الدنيا إذا رأى نفسه قاصرة عن الجمع بين الامرين اهتم
بما بقى واقل العناية بما يفنى وآثر الآخرة على الدنيا فلا يلتفت إلى
الدنيا إلا بقدر ما يتبلغ به إلى الآخرة مراعيًا فيه حكم الشرع
ومحافظًا لقول الله عز وجل: «يا أيها الناس ان وعد الله حق»
فلا تغرّبكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» وكما قال النبي
صلى الله عليه وسلم: ما انا والدنيا انما مثلي فيها مثل راكب سار
في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقام في ظلها ساعة ثم راح
وتركها. وقد نبه الله تعالى على حال من يريد ان يتجرد ويتخلص
من حباله^(٢) الدنيا على سبيل المثل بقوله: (ان الله مبتليكم بنهر

(١) يقال امور الله جارية على اذلالها اي يجارها جمع ذل بالكسر

(٢) الحباله ككتابة المصيدة

فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف
 غرفة بيده). ومجبة الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس
 كل خطيئة. وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم: من سكن قلبه
 حب الدنيا بلي بثلاثة شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه
 وامل لا يبلغ منتهاه. وقال صلى الله عليه وسلم: من كانت الدنيا
 اكبرهمه فرّق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم
 يأتها من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة اكبرهمه جمع
 الله تعالى شمله وجعل غناه في قلبه واثته الدنيا وهي راغمة وهذا
 معنى قوله عز وجل: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في
 حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوّته منها وما له في الآخرة من
 نصيب) ومعرفة ذلك والوصول اليه لا يمكن الا ان يستضيء
 العقل بنور الشرع معتمداً على من له الخلق والأمر

الباب الثامن عشر

في تظاهر العقل والشرع وافنقار احدهما الى الآخر
 اعلم ان العقل لن يهتدي الا بالشرع والشرع لا يتبين الا
 بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني اس ما لم يكن
 بناءً ولن يثبت بناء ما لم يكن اساً. وايضاً فالعقل كالبصر والشرع

كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى: «قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه». وايضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمهده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت قال الله تعالى: «الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء». والله هو الهادي . وايضاً فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضان بل متحدان ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله: «صمٌ بكم عمي» فهم لا يعقلون . ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم». فسمى العقل ديناً . ولكونهما متحدين قال (نورٌ على نور) اي نور الشرع ونور العقل ثم قال: «يهدي الله لنوره من يشاء». فجعلهما نوراً واحداً فالشرع اذا فقد العقل عجز عن

اكثر الامور عجز العين عند فقد الشعاع
 واعلم ان العقل بنفسه قليل الفناء ^(١) لا يكاد يتوصل الا
 الى معرفة كليات الاشياء دون جزئياتها نحو ان يعلم
 جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق وتعاطي الجميل وحسن
 استعمال العدالة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير ان يعرف
 ذلك في شيء شيء والشرع يعرف كليات الاشياء ويبين
 ما الذي يجب ان يعتقد في شيء شيء وما الذي هو معدلة في
 شيء شيء ولا يعرفنا العقل مثلا ان لحم الخنزير والدم والخمر محرم
 وانه يجب ان يتحامي من تناول الطعام في وقت معلوم وان لا تنكح
 ذوات المحارم وان لا تجامع المرأة في حال الحيض فان اشباه
 ذلك لا سبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة
 والافعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والاخرة ومن عدل
 عنه فقد ضل سواء السبيل ولاجل ان لا سبيل للعقل الى معرفة
 ذلك قال الله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»
 وقد قال الله تعالى: «ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
 لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي»
 والى العقل والشرع اشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى: «ولولا

(١) الفناء بالفتح والمد النفع

فضل الله عليكم ورحمته لا تبغتم الشيطان الا قليلا . وعنى
بالقليل المصطفين الاخير

الباب التاسع عشر

في فضيلة الشرع

اعلم ان احكام الشرع من وجهٍ دوائٍ ومعجون مفروغ منه
تولى ايجاده من له الخلق والامر . وهو دوائٍ مفيد للحياة الأبدية
والسلامة الدائمة كما قال الله تعالى : «أومن كان ميتاً فأحييناه
وقال تعالى : «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من
نشأ من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم . فجعل ذلك
روحاً لإفادة الحياة الابدية . وقال الله تعالى : «قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء» . وقوله : «شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين» * ومن وجهٍ هو ماءٌ مطهر مزيل للأنجاس والارجاس
النفسية كما قال الله تعالى في وصفه للقرآن : «انزل من السماء
ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايياً» . وكذلك
قال الله تعالى : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيراً» * ومن وجهٍ هو نورٌ وسراجٌ مزيل للظلمة

والخيرة والجهالة قال الله تعالى: «قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من
الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . وقوله تعالى :
الله نور السموات والارض» * ومن وجهٍ وسيلة الى الله عز وجل
كما قال : «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة» .
وقال فيمن مدحهم : يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته . وقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا . وقوله
تعالى : فليرتقوا في الاسباب» * ومن وجهٍ هو الطريق المستقيم
كما قال الله تعالى : «وان هذا صراطي مستقيما» .

فصل

ذكر بعض الحكماء ان الارض المقدسة المذكورة في قوله
تعالى «يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على ادباركم» . هي في الدنيا الشريعة وفي الآخرة الجنة
لانها هي التي اذا دخلها الانسان لا يرتد على دُبُرِه ونال السعادة
الكبرى بلا مشنوية^(١) فاما بيت المقدس في الارض فان من يدخله
فبنفس دخوله اياه لا يستحق مشنوية بل المشنوية تستحق بأمر آخر
يكون دخوله المكان الذي هو بيت المقدس آخرها بعد ان

(١) يقال هبة ليس فيها مشنوية ولا ثنيا اي استثناء.

يكون دخوله على وجه مخصوص وفي حال مخصوص . قال وعلى
 هذا الحرم المذكور في قوله تعالى : « اولم يروا انا جعلنا حرماً
 آمناً ويتخطف الناس من حولهم اّ فبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
 هم يكفرون » . وسأل جعفر بن محمد الصادق بعض الفقهاء عن
 هذه الآية فقال أريد بها مكة فقال : واعجبا واي أرض أكثر
 تخطف لمن حولها من مكة . ويدل على ما قال قول الله تعالى
 بعد ذلك : « وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما
 عند الله خير وابقى أفلا تعقلون » وكذلك قوله تعالى : واذا
 قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
 وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين » .
 والسفر الموعود بالغزوة بقول النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا
 هو السفر الى هذه الدار . وكذلك القرار المدعو اليه من جهة
 المثل بقوله ففرشوا الى الله . وكذا الحج الاكبر الذي دعا الناس
 اليه بقوله : « واذا نزل من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر »
 وقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً »
 وكذا الجهاد الاعظم في قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق
 جهاده » . والهجرة الكبرى في قوله تعالى « ألم تكن ارض الله
 واسعة فتهاجروا فيها » .

الباب العشرون

في ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الله فليس بانسان
لما كان الانسان انما يصير انسانا بالعقل ولو توهمنا العقل
مرتفعا عنه لخرج عن كونه انساناً ولم يكن اذا تخطينا الشج المائل
الاً بهيمة مهملة او صورة ممثلة والعقل لن يكمل بل لا يكون
عقلا الا بعد اهتدائه بالشرع كما تقدم ولذلك نفى العقل عن
الكفار لما تعرّوا عن الهداية بالشرع في غير موضع من كتابه
والاهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالى فالانسان اذا في الحقيقة
هو الذي يعبد الله ولذلك خلق كما قال الله تعالى : « وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون » . وكما قال تعالى : وما امرؤ الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين » . فكل ما وجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان
في حكم المعدوم ولذلك كثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه اذا
وجد فعله ناقصاً كقولهم للفرس الرديء ليس هذا بفرس وللانسان
ليس هذا بانسان . ويقال فلان لاعين له ولا اذن له اذا بطل
فعل عينه واذنه وان كان شجهاً باقياً وعلى هذا قال تعالى :
« **صم بكم عمي** » . فممن لم ينتفع بهذه الاعضاء فالانسان يحصل له

من الانسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لاجلها خلق فمن
 قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن رفضها فقد
 انسح من الانسانية فصار حيوانا او دون الحيوان كما قال الله
 تعالى في وصف الكفار: «إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
 سَبِيلًا» . وقال: ان شرّ الدواب عند الله الصمُّ البكمُ الذين
 لا يعقلون» . فلم يرض ان يجعلهم انعاماً ودوابً حتى جعلهم
 اضلّ منها وجعلهم من اشرارها واخرج كلامهم عن جملة البيان
 فقال تعالى: «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصديّة»
 تنبيها على انهم كالطيور التي تمكو وتُصدّي^(١) ونبه تعالى بنكته
 لطيفة على ان الانسان لا يكون انساناً الا بالدين ولا ذابيان
 الا بقدرته على الاتيان بالحقائق الدينية فقال تعالى: «الرحمن
 علّم القرآن خلق الانسان علمه البيان» . فابتدأ بتعليم القرآن
 ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينهما وكان
 الوجه على متعارف الناس ان يقول خلق الانسان وعلمه البيان
 وعلمه القرآن فان ايجاد الانسان بحسب نظرنا مقدم على تعليم البيان
 وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن لكن لما لم يعد الانسان انسانا
 ما لم يتخصص بالقرآن ابتدا بالقرآن ثم قال خلق الانسان

(١) مكا الطائر صفر . وصدّي صفق

تنبيهاً على ان بتعليم القرآن جعله انساناً على الحقيقة ثم قال علمه
 البيان تنبيهاً على ان البيان الحقيقي المخلص بالانسان يحصل بعد
 معرفة القرآن فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف العطف
 منه وجعل كل جملة بدلاً مما قبلها لا عطفاً على ان الانسان
 ما لم يكن عارفاً برسوم العبادة ومخصصاً بها لا يكون انساناً وان
 كلامه ما لم يكن على مقضى الشرع لا يكون بياناً . فان قيل فعلى
 ما ذكرته لا يصح ان يقال للكافر انسان وقد سماهم الله بذلك في
 عامة القرآن . قيل انا لم نقل انا لاسمي الكافر انساناً على تعارف
 الكافة بل قلنا قضية العقل والشرع تقضي ان لا يسمى به الا
 مجازاً ما لم يوجد منه العقل المخلص به ثم ان سمي به على سبيل
 تعارف العامة فليس ذلك بمنكر فكثير من الاسماء يستعمل على
 وجه فيبين الشرع ان ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم الغني
 فانهم استعملوه في كثرة المال وبين الشرع ان الغني ليس هو كثرة
 المال قال عليه الصلاة والسلام ليس الغني بكثرة المال وانما الغني
 غني النفس . فيشير الى ان الغني ليس هو كثرة المال وقال تعالى
 «ومن كان غنياً فليستعفف» . اي كثير الأعراض^(١) فاستعمله

(١) العرض بوزن النفس المتاع وجمعه عروض ولا يجمع اعراض

الأعلى لغة من فتح الوسط

على ما هو متعارف . وجملة الامران اسم الشيء اذا اطلقه الحكيم
 على سبيل المدح يتناول الأشراف منه كقوله تعالى : «وانه لذكر لك
 ولقومك . وقوله تعالى : «ورفعنا لك ذكرك» وان كان الذكر قد
 يقال للحمود والمذموم . وعلى هذا يمدح كل شيء بلفظ نوعه
 فيقال فلان هو انسان وهذا السيف سيف ولهذا قيل الانسان
 المطلق هو نبي كل زمان وقد قال عليه الصلاة والسلام : الناس
 اثنان عالم ومتعلم وما عداهما همج^(٢) . وقال بعض العلماء : قول من
 قال الانسان هو الحي الناطق الميت صحيح وليس معناه ماتوهمه
 كثير من الناس من انه من الحياة الحيوانية والموت الحيواني
 والناطق الذي هو في الانسان بالقوة وانما اريد بالحي من كان له
 الحياة المذكورة في قوله تعالى : «لينذر من كان حياً» .
 وبالناطق البيان المذكور بقوله : «علمه البيان» وبالمت من
 جعل قوته الشهوانية والغضبية مقهورتين على مقنضى الشريعة
 فيكون حينئذ ميتاً بالارادة حياً بالطبيعة كما قيل : مت بالارادة
 تحي بالطبيعة كما قال امير المؤمنين عليه السلام : من امات نفسه
 في الدنيا فقد احياها في الآخرة

(١) يقال للرعاع الحمقى انما هم همج واصله الذبَاب الصغير يسقط على
 وجه الغنم وغيرها

الباب الحادي والعشرون

فما يتعلق بالشرع من الافعال
 للانسان ضربان من الاحوال لا ينفك منهما ضرب لا يلحقه
 فيه محمده ولا مذمة ولا في جنسه تكليف وذلك شيان احدهما
 احوال ضرورية لا يمكنه ان ينفص^(١) منها كنبض العرق والتنفس
 وما يجري مجراها من الاحوال الضرورية . والاخر ما يقع من
 الانسان على سبيل السهو والخطأ وان كان جنسه مقدوراً
 له وهو المذكور في قول النبي صلى الله عليه وسلم : رفع عن امتي
 الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . وضرب تلحقه فيه المحمده
 والمذمة وفي جنسه التكليف وذلك ثلاثة اشياء احدها الافعال
 المختصة بالجوارح كالقيام والقعود والركوب والمشى والنظر وكل ما
 يحتاج الى استعمال الاعضاء فيه . والثاني حفظ عوارض النفس
 كالشهوة والخوف واللذة والفرح والغضب والشوق والرحمة والغيرة
 وما اشبه ذلك . والثالث ما يختص بالتمييز والعلم . وكل واحد من
 هذه الثلاثة اما ان يحمده عليه الانسان او يذمه . فحمده ان تكون
 افعاله جميلة وعوارض نفسه مستقيمة وقلبه ذكياً حتى يعتقد الحق

(١) تفصي الانسان من الشهرة تخلص

ويقول على معرفته اذا ورد عليه . والمذمة تلحقه ان كانت على
اضداد ذلك . والعبادات بهذه الاشياء الثلاثة تخص . والله
تعالى في كل فعل يتحراه الانسان عبادة سوائ كان الفعل واجباً
او ندباً او مباحاً وتكون تلك العبادة مبينة اما ببديهة العقل او
بالكتاب او بلسان النبي او باجماع الامة او بالاغبيات والاقيسة
المبنية على هذه الاصول بل ما من حكم الا وكتاب الله ينطوي
عليه كما قال الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . عرفه
من عرفه وجهله من جهله . وما من مباح الا واذا تعاطاه
الانسان على ما يقضيه حكم الله تعالى كان الانسان في تعاطيه
عابداً لله مستحقاً لثوابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد
انك لتؤجر في كل شيء حتى اللقمة تضعها في في امرأتك . ومخاطبته
لسعد بذلك لما عرف منه انه يراعي في افعاله حكم الله تعالى . وعلى
هذا الوجه قال : ما من مسلم غرس غرساً لم يأكل منه شيئاً الا
كان له صدقة . ومراعاة امر الله في جميع الامور دقيقها وجليلها
مستحب للكافة وواجب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كل
من تقرب منزلته من منزلته لقول الله تعالى : « فاستقم كما امرت
ومن تاب معك »

الباب الثاني والعشرون

في تحقيق العبادة

العبادة فعلٌ اختياريٌّ منافٍ للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعةً للشريعة . فقولنا فعل اختياريٌّ يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه الترك الذي هو على سبيل الاختيار فان الترك ضربان ضرب على سبيل الاختيار وهو فعل . وضرب هو العدم المطلق لا اختيار معه بل هو عدم الاختيار وليس بفعل . وبقولنا منافٍ للشهوات البدنية يخرج منه ما ليس بطاعة واما الافعال المباحة كالاكل والشرب ومجامعة المرأة فليس بعبادة من حيث انها شهوة ولكنها قد تكون عبادة اذا تحري بها حكم الشريعة وانما قيل تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى لانها ان خلت عن نية او صدرت عن نية لم يقصد بها التقرب الى الله تعالى بل اريد بها مراعاة لم تكن ايضاً عبادة وانما قيل طاعة للشريعة لان من انشأ من نفسه فعلاً ليس بسائغ في الشريعة لم يكن عبادة وان قصد به التقرب الى الله تعالى فالعبادة اذاً فعل يجمع هذه الاوصاف كلها

الباب الثالث والعشرون

في انواع العبادة من العلم والعمل

العبادة ضربان علم وعمل وحقهما ان ينلازما لان العلم كالأس والعمل كالبناء وكما لا يغني أس ما لم يكن بناء ولا يثبت بناء ما لم يكن أس كذلك لا يغني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم ولذلك قال الله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». والعلم اشرفهما لكن لا يغني بغير عمل ولشرفه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ايما الاعمال افضل يا رسول الله فقال العلم فاعاد عليه السؤال فقال العلم فقال الرجل في الثالثة اسألك عن العمل لا عن العلم فقال عليه السلام عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل. وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم * فالعلم ضربان نظري وعملي فالنظري ماذا علم كفي ولم يخرج فيه بعده الى عمل كمعرفة وحدانية الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومعرفة السموات وما اشبه ذلك. والعملى ماذا علم لم يغن حتى يعمل به كمعرفة الصلاة والزكاة والجهاد والصوم والحج وبر الوالدين. والاعمال ثلاثة اضرب منها ما يختص بالقلب ومنها ما يختص بالبدن ومنها ما يشارك فيه

البدن القلب . والعلم ايضاً اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه
 عمل واذا نظر اليه وقد اكتسب وتصوّر في القلب خرج في
 تلك الحال عن ان يكون عملاً . ومن وجه آخر ضربان واجب
 وندب فالواجب يقال له العدل والندب يقال له الاحسان وهما
 المذكوران في قول الله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان »
 فالفرض والعدل تحري الانسان لما اذا عمله ائيب واذا تركه عوقب
 والندب والاحسان تحري الانسان لما اذا عمله ائيب واذا تركه لم
 يعاقب والانصاف من العدل والتفضل من البر والاحسان فالانصاف
 هو مقابلة الخير من الخير والشر من الشر بما يوازيه والتفضل والبر
 مقابلة الخير باكثر منه والشر باقل منه . فالاحسان والتفضل
 احتياط في العدالة والانصاف ليؤمن به من وقوع خلل فيه
 وذلك انك اذا زدت في اعطاء ما عليك ونقصت في اخذ مالك
 فقد احتطت واخذت بالحزم كدفع زيادة زكاء الى الفقير وترك
 ما حل لك ان نتناول من مال اليتيم . فالعدالة ان كانت جميلة
 فالتفضل احسن منها ولذلك قال تعالى فيمن استوفى حقه
 فتحري العدالة : « ولَمَن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك ما عليهم من سبيل »
 وقال سبحانه بعده : « وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلنَّقْوَى » . وقال عز وجل
 « وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » . اشارة الى ان الاحسان حسن والتفضل

احسن وقال عز وجل « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » فالانسان
انما يكون محسناً مفضلاً بعد ان يكون عادلاً منصفاً . فاما من ترك
ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه فانه لا يقال له متفضل ولا يجوز تعاطي
التفضل الا لمن كان مستوفياً وموفياً لنفسه فاما الحاكم المستوفي
والموفي لغيره فليس له الا تحري العدالة والنصفه (١)

فصل

العلوم من حيث الكيفية ضربان تصور وتصديق فالتصور هو ان
يعرف الانسان معنى الشيء صحَّ عنده ذلك بدلالة او لم يصح
لمن عرف الصلاة وشرائطها وان لم تثبت صحتها عنده بدلالة
والتصديق هو ان يتصور الشيء ويثبت عنده بدلالة تقضي صحته
والتصديق على ثلاثة اضرب اما بغلبة الظن وهو ان يكون
عليه دلالة وقد يعترضها شبه توهنها او تبطلها قال الله تعالى :
« اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .
واما بعلم اليقين وهو ان يصير بحيث يعلم ويعلم انه يعلم ولا يعترضه
شبه توهنه كالعلم مثلاً بان ثلاثة وثلاثة ستة وانه لا يصح ان
يكون اكثر من ذلك او اقل قال الله تعالى : « انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » . واما بعين اليقين وهو

(١) النصفة محرّكة الانصاف

توبتهم واولئك هم الضالون» فلم يرد تعالى انهم اذا تابوا لن
تقبل توبتهم بل نبه بذلك على انهم لا يتوبون فنقبل توبتهم
فدل منتهى الفعل على مبدأه وهذا من كلامهم كقول الشاعر
«ولا يرى الضبُّ بها ينحجر»^(١)

اي ليس بها ضب فينحجر فني انحجار الضب وهو في
الحقيقة نفي لوجود الضب بها وعلى هذا دل قوله تعالى: «ان الذين
آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً» . اي لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم وعلى
هذا قال تعالى: «انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب» . تنبيهاً على ان هؤلاء هم الذين يرجي
لهم التوبة . وعلى هذه الجملة المذكورة قال النبي صلى الله عليه
وسلم: اذا اذنب الرجل نكثت على قلبه نكته سوداء فاذا اذنب
ثانياً نكثت اخرى فلا يزال كذلك حتى يصير قلبه كلون الشاة
الرمداء . وفي خبر آخر: الذنب على الذنب حتى يسود القلب
فلا ترجى له الا نابة . وكذا حال الانسان فيما يتعاطاه من فعل
الخير فان من صبر في اقتراف الحسنة اورثه صبره حسناً كما

(١) جحر الضب دخل جحره وهو كل شيء تحتفره السباع والهوام

بأنفسها . وجحر فلان الضب ادخله فيه فانحجر

وصف الله به الصابرين في مواضع من كتابه قال تعالى: «ومن
يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» . فان استمر في ذلك بعض
الاستمرار اهتز ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى: «فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام» . فان دام على ذلك
امتحن وتطهر قلبه كما قال الله تعالى: «اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى» . ويكون كما وصفه في هذه السورة: «ولكن
الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة
والله عليم حكيم» . فان تزايد في فعله انضم اليه من الله تعالى
باعث يهزه وداع يبعثه عليه كما قال الله تعالى: «هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم» . فحق
الانسان ان لا يسامح نفسه في الاجتهاد وان لا يخلل بخير تعودده
ولا يرخص لها في شر ارتكبه فتعاطي صغير الذنب يفضي الي
ارتكاب الكبير والايخلل بقليل الخير يوذي الي الاخلال
بكثيره كما قال الشاعر:

وازرق الفجر يندو قبل ايضه

واول الغيث قطره ثم ينسكب

وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: «ان الذين ارتدوا على

ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم واملي لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض
الامر . فتبين ان قولهم للذين كرهوا ما نزل الله ادعى بهم الى
الارتداد على ادبارهم وقال تعالى : « ان الذين تولوا منكم يوم النقي
الجمعان انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا » . فنبه على ان
بعض ما كسبوا ادعى بهم الى الانهزام فالمتدرب في فعل الخير
المنقوي فيه يصير بحيث يكون له من الله تعالى واقية تحفظه عن
الافعال القبيحة وتحتثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة
وعلى ذلك نبه الله تعالى في صفة اوليائه بقوله : « اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » . وقال تعالى : « رضي
الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم
المفلحون » . والمتدرب بفعل الشر المنقوي فيه قد يصير بحيث
يكون له بما ارتكبه من القبائح باعث يبعثه على الافعال القبيحة
ويحثه على الافعال السيئة ويسد عليه طرق الافعال الحسنة وعلى
ذلك نبه الله تعالى بقوله في صفة اعدائه « انا جعلنا في اعناقهم
اغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم
سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » . وقال
تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين

وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . وقال
 تعالى : « انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون » . وقد
 نسب الله هداية العبد وضلاله جميعاً الى نفسه من حيث انه
 جعل خلقه وطبعه بحيث اذا تعاطى فعلاً ان خيراً وان شراً
 فاستمر عليه يصير ذلك طبعاً له ملازماً لا يرجع عنه ولم ينسب
 المنع من الايمان الى نفسه الا بعد ذكر ما كان من اسائة العبد
 نحو قوله : (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) . فخص
 الذين لا يؤمنون بان جعل الشيطان اولياءهم وقال تعالى : (ومن
 الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد
 كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير .
 وقال تعالى : ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينّا لهم اعمالهم فهم
 يعمهون) . قال الشاعر
 زين في عينك القبيح كما * زين في عين غيرك الحسن

الباب الحادي والثلاثون

في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة
 الانسان لما كان على هيئة العالم اوجد فيه كل ما اوجد في
 العالم وكما ان في العالم اشياء لا يتأتى اصلاحها وحيوانات لا يمكن

تأديها كذلك في الانسان قوى لا يتأتى اصلاحها وتهذيبها وكان
له مع ذلك مشبطات عما أمر به ونقصير عما كُلف ولهذا قال الله
تعالى: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . الى قوله:
كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) . فنبه على ان الانسان لا يكاد يخرج من
دنياه وقد قضى وطره ولذلك يجب على الانسان ان يجتهد في اداء
ما يمكنه ويظهر نفسه بقدر ما يتيسر له والرغبة الى الله تعالى في تكفير
ما قصر فيه ويتحقق انه اذا فعل ما يمكنه فقد اعذر لقوله تعالى:
(لا يكلف الله نفساً الا وسعها) . فاذا فعل ما يمكنه يكون قد ترشح
ان يزيل الله عنه باقي السيئات كما قال الله تعالى: (يا ايها الذين
آمَنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم)
وقال تعالى: (ان تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
ونُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا) . ولهذا امرنا تعالى ان نديم الدعاء
بقوله (رَبِّنا لا تَوَاخِذْنا ان نَسِينَا او اِخْطَاْنَا) . وقال تعالى:
(والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا
اِتمِّمْ لَنَا نُورَنَا) . فأمرنا ان نرغب اليه في اتمام ما قصرنا عن اكتسابه
وقوله (والذي جاء بالصدق الى قوله: ليكفر الله عنهم اسوأ
الذي عملوا ويمجزهم اجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) . ولهذا
الجملة قال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم انه يصل الى

الحق ببذل المجهود فهو متعنٌ ومن زعم انه يصل اليه بغير بذل المجهود فهو متمنٌ * ولقصور الانسان عن تزكية نفسه بالتمام قال صلى الله عليه وسلم: ما احدث يدخل الجنة بعمله قيل ولا انت يا نبي الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته . وقال تعالى تنبيهاً على هذا المعنى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء) . وبيان قصور الانسان عن تزكية نفسه على التمام هو ان الانسان حيوان ناطق متفكر والحيوان جوهرٌ متنفس حساس والمتنفس جوهر متغذ مترب لا قوام له الا بالغذاء كما قال الله تعالى (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين فالانسان مادام في الدنيا لا ينفك عن مشاركة البهائم والسباع لكونه حيواناً محتاجاً الى ما تحتاج اليه . وعن مشاركة الاشجار والنبات لكونه متنفساً محتاجاً الى ما تحتاج اليه . والانسان اذا لم يقتحم العقبة ويفك الرقبة وما لم يتعر عن الحاجات الدنية لم يأمن شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) . قال بعض المفسرين : ان ابراهيم لما سأل الله تعالى فقال : (رب ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن)

قلبي) . انما سأله ان يريه الحياة المتعزية عن العوارض العارضة
 للحيوانات فقال اولم تؤمن اي اولم تتحقق قال بلى ولكن ليطمئن
 قلبي اي ليتصور لي كيفية الطمانينة اي تبيري النفس من الشره
 والحرص والامل والافتخار واعاين الحالة المذكورة في قوله تعالى
 « يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
 في عبادي وادخلي جنتي » . فأمره ان يأخذ اربعة طيور . غراباً
 وهو المخصوص بالحرص والشره . ونسراً وهو المخصوص بالامل
 وطاووساً وهو المخصوص بالافتخار . وديكاً وهو المخصوص بالشبق
 فأمره ان يقطعهن ويصرهن اي يدعوهن ولما فعل ذلك صرن
 اليه عاجلاً فنبه الله تعالى بذلك على ان الانسان وان اجتهد
 كل الاجتهاد في حذف هذه المعاني عن نفسه وتطهير ذاته منها
 لن يتطهر مادامت البشرية الدنيوية حاصلة له ولن تحصل له
 الطمانينة المطلوبة . فاما ما يدعيه قوم ان من الناس من قد
 تجرد عن هذه الخصائص حتى يستغني عن الطعام والشراب
 ويصير بحيث لا تعتريه الاخلاق البهيمية فهذا ان حصل في
 بعض الناس فان ذلك يكون حينئذ ملكاً متشجراً يسمى باسم
 الانسان على سبيل الاشتراك في الاسم فيكون متبدل الجوهر

تبدل جوهر النار اذا صارت برداً وسلاماً وتبدل الدُعموص^(١)
اذا صار ضعفاً والدود اذا صار فراشا وكثيراً من النبات اذا
صار جوهرًا آخر وحيوانا كدودة القز وليس ذلك بمنكر في القدرة
الالهية وهو حينئذٍ خارج عن الاستصلاح للافعال التي خلق
الانسان لاجلها مستخلفاً في الارض مستعمراً فيها

فصل

اعلم ان من هاجر الى الله وجاهد في سبيله فحقيق ان يهديه الى
سبيله كما وعد به في قوله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا» . وقال: «والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا الى
الى قوله: اولئك هم المؤمنون حقا» . والهجرة العظمى هجران
فضول الشهوات والمجاهدة الكبرى مدافعة الهوى كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم: جهادك في هواك . فمن هدى الى سبيله وامعن
في مسيره مسارعا في الخيرات ومسابقا الى مغفرة ربه فحقيق ان
يصير من الابدال ومعنى الابدال هم الذين يبدلون من اخلاقهم
وافعالهم الذميمة اخلاقاً وافعالاً حميدة فيجعلون بدل الجهل العلم
وبدل الشح الجود وبديل الشره العفة وبديل الظلم العدالة وبديل
الطيش التؤدة وعلى ذلك دل قوله تعالى: «والذين لا يدعون

(١) الدُعموص بالضم دويبة توجد في الغدران

مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله الا بالحق الى
 قوله: يبدّل الله سيئاتهم حسنات . والانسان اذا صار من
 من الابدال فقد ارتقى الى درجة الاحباب الذين عناهم الله تعالى
 بقوله: « فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » . فيجعله مهيباً في
 البشر معظم القدر عند كل احد بل قد يبلغ مبلغاً تخضع له البهائم
 والسباع والوحوش والحشرات كخضوعها لسليمان بن داود عليهما
 السلام ويصير الحديد له ليناً كما لان لنيه داود عليه السلام
 وتصير النار له اذا خاضها برداً وسلاماً كما صارت على ابراهيم
 عليه السلام وثنقاده الريح فيركبها كركوب سليمان وتسخر له
 المياه فيمشي عليها كتسخيرها للخضر عليه السلام ويكلمه النبات
 والمعادن والافلاك والنجوم فتقفه على منافعها وتخبره بسرائرها
 فكاملتها لا دريس عليه السلام* روي انه اذا احب الله عبداً
 البسه صورة من صورته ونفخ فيه روحاً من روحه حتى ينقاد له
 كل حجر ومدرو ويتواضع له كل طائر وسبع بل قد ينحصر بكرامات
 لا يمكن ان يطلع على معرفتها غير من خص بها كما قال النبي
 صلى الله عليه وسلم عن ربه: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
 رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال تعالى
 اشارة لها هذا المعنى « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين »

وهذه الاحوال كما تكون للانبياء فقد تكون للاولياء المخصوصين
 بالكرامة وليس ذلك بمستبدع ولا منكر في قدرة الله تعالى ولا
 بمناف في حكمته كما ظن بعض المتكلمين ان ذلك اذا اظهره على
 غير انبيائه لا يؤمن ان يفتن به الناس وانه يوذي الى اشتباه امر
 المعجزة على الكافة فان احكم الحاكمين لا يؤتي هذه المكرمة الا
 من هو اهلها كما نبه عليه سبحانه بقوله «الله اعلم حيث يجعل
 رسالته» ومن بلغه هذه المنزلة فقد اتاه لاشك من العلم والحكمة
 قدر ما يهديه ويؤدبه وعرف ما يمسكه فيستقيم كما امر فيه فيعرف
 قدره ولا يتعدى طوره

الباب الثماني والثلاثون

في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل بعده من السعادة
 لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة الا جماعة من الطبيعيين
 اهملوا افكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم عن التفكير في مبدأهم
 ومنشأهم شغلهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة في قوله
 تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
 المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف
 ذلك متاع الحياة الدنيا» . واما من كان سوياً ولم يمش مكباً على

وجهه لكونه : « كالانعام بل هم اضل سبيلا » وتأمل اجزاء العالم
 علم ان افضلها ذوات الارواح وافضل ذوات الارواح ذوو
 الارادة والاختيار في هذا العالم وافضل ذوي الارادة والاختيار
 الناظر في العواقب وهو الانسان فيعلم ان النظر في العواقب من
 خاصية الانسان وانه لم يجعل تعالى هذه الخاصية له الا لامر
 جعله له في العقبي والا كان وجود هذه القوة فيه باطلا فلوم
 يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة
 نصبا وهما وحزنا ولا يكون بعده حال مغبوطة لكان احسن
 البهائم احسن حالا من الانسان فيقتضي ان تكون هذه الحكم
 الالهية والبدائع الربانية التي اظهرها الله تعالى في الانسان
 عبثا كما نبه الله عليه بقوله تعالى : « احسبتم انما خلقناكم عبثا
 وانكم الينا لا ترجعون » فان احكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها
 وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سوى ما تشاركه فيه
 البهائم من الاكل والشرب والسفاد مع ما يشوبه من التعب الذي
 قد اغني عنه الحيوانات سفه « كالتى نقضت غزلها من بعد
 قوة انكاثا » تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وما اظهر عند من
 التقي عن مناكبه دثار العماية صدق امير المؤمنين علي عليه
 السلام في قوله : الدنيا دار ممر لا دار مقر فاعبروها ولا تعمروها

وقد خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم
القرار . وكثير من الجهال اغتروا بقوم وصفوا بوفور العقل في
امور الدنيا حيث انكروا امر الآخرة فقالوا لو كان ذلك حقاً لم
ينكره امثالهم مع وفور عقولهم وكثرة فهمهم ولم يعلموا ان العقل
وان كان جوهرًا شريفًا فانه لا يتوجه الا حيث وجهه ولا غناء
له الا فيما اليه صرف فاذا صرف الى امور الآخرة احكمها واذا
صرف الى امور الدنيا قبلها وعكف عليها واخذل بما سواها فنقصر
بصيرته حينئذ عن الامور الآخروية كما نبه الله عليه في غير موضع
من كتابه وقد تقدم القول فيه

فصل

اعلم ان الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح للبدن هو
احد الاسباب الموصلة للانسان الى النعيم الابدى وهو انتقال
من دار الى دار كما روي انكم خلقتم للابد لكنكم تنقلون من دار
الى دار حتى يستقر بكم القرار فهو وان كان في الظاهر فناً
واضحلاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية قال الشاعر في ذلك
تمخضت المنون له بيوم اتى ولكل حاملة تمام
فانه جعل للمنون حملاً كحمل المرأة وتمخضت كتمخضها
وولادة كولادتها نبيها علي انه احد اسباب الكون . قال بعضهم

الانسان ما دام في دنياه جار مجرى الفرخ في البيضة فكما ان
من كمال الفرخ نفلق البيض عنه وخروجه منه كذلك من شرط
كمال الانسان مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الانسان
فالموت اذا ضروري في كمال الانسانية ولكون الموت سبباً للانتقال
من حال اوضع الى حال اشرف وارفع سماه الله تعالى توفياً وامساكاً
عنده فقال تعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
اجل مسمى » ولهذا نقول العرب استأثر الله بفلان ولحق بالله
ونحو ذلك من الالفاظ ولاجل ان الموت الحيواني انتقال من
منزل ادنى الى منزل اعلى احبه من وثق بماله عند الله ولم يكره
هذا الا احد رجلين احدهما من لا يؤمن بالآخرة وعنده ان
لا حياة ولا نعيم الا في الدنيا كمن وصفهم الله تعالى بقوله «
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم
لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر » وقال
بعض من هذه طريقتة شعراً في هذا المعنى
خدم من الدنيا بحظ قبل ان تنقل عنها الفنة
فهي دار ليس تلقى بعدها اطيب منها
والثاني يؤمن به ولكن يخاف ذنبه فاما من لم يكن كذلك

فانه يحبه وبتناه كما احبه الصالحون وتمنوه . وقد روي عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال : من احب لقاء الله احب الله لقاءه
وقال تعالى : (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تنبيهاً على ان من
يكون متحققاً بحسن حاله عند الله لم يكره الموت . فالموت هو
باب من ابواب الجنة منه يتوصل اليها ولو لم يكن موت لم تكن
الجنة ولذلك من الله تعالى به على الانسان فقال : (الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً) فقدّم الموت على الحياة
تنبيهاً على انه يتوصل به الى الحياة الحقيقية وعده علينا في نعمه
فقال : (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم
يجيبكم) فجعل الموت انعاماً كما جعل الحياة انعاماً لانه لما كانت
الحياة الاخرية نعمة لا وصول اليها الا بالموت فالموت نعمة لان
السبب الذي يتوصل به الى النعمة نعمة ولكون الموت ذريعة الى
السعادة الكبرى لم يكن الانبياء والحكماء يخافونه حتى قال امير
المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام : والله ما ابالي اقع على
الموت او يقع الموت علي . وكانوا يتوقعونه ويرون انهم في حبس
فينتظرون المبشر باطلاقهم . وعلى هذا روي الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر . وقيل انه لما مات داود الطائي سمع هاتف يقول :
أطلق داود من السجن . قال الله تعالى : (ولئن متهم او قتلتم لألبي

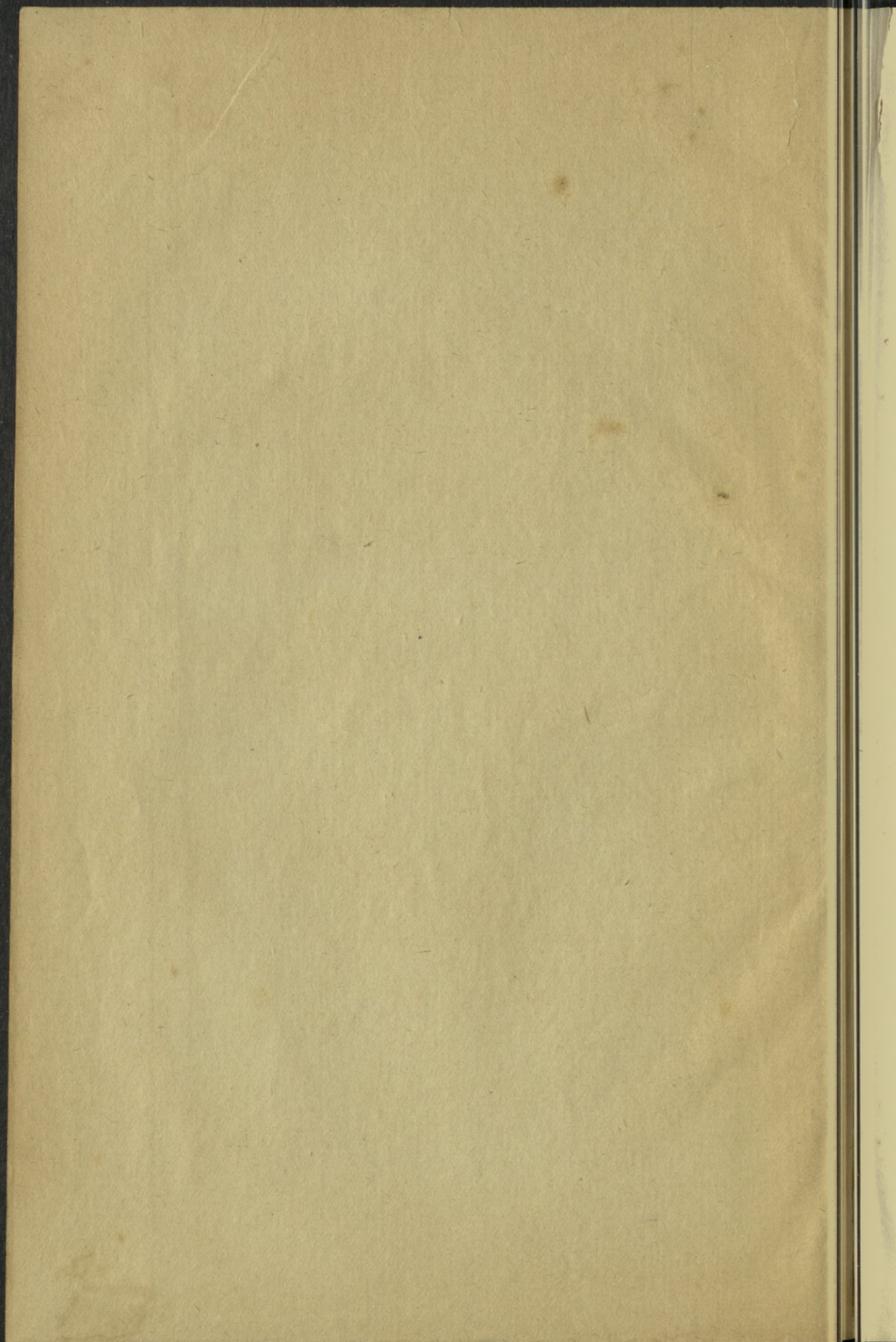
الله تحشرون) تنبيهاً على ان الموت سبيل الحياة المستفادة عند الله تعالى . وقال تعالى : (ولئن قتلتهم في سبيل الله او متم / لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) وقال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين . . الآية) وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) فنبه على ان هذه التغيرات خلق احسن فنقض هذه البنية لاعادتها على وجه اشرف كالنوى المزروع الذي لا يصير نخلاً مثمراً الا بعد افساد جثتها وكذلك البر اذا اردنا ان نجعله زيادة في اجسامنا يحتاج ان يطحن ويعجن ويخبز ويؤكل فيغير تغيرات كثيرة هي فساد لها في الظاهر وكذلك البذر اذا بقي في الارض يعده من لا يتصور ما له وحاله فساداً فالنفس تحب البقاء في هذه الدار اذا كانت قدرة راضية بالاعراض الدنيوية رضا الجعل بالحس او جاهلة بما لها في المال

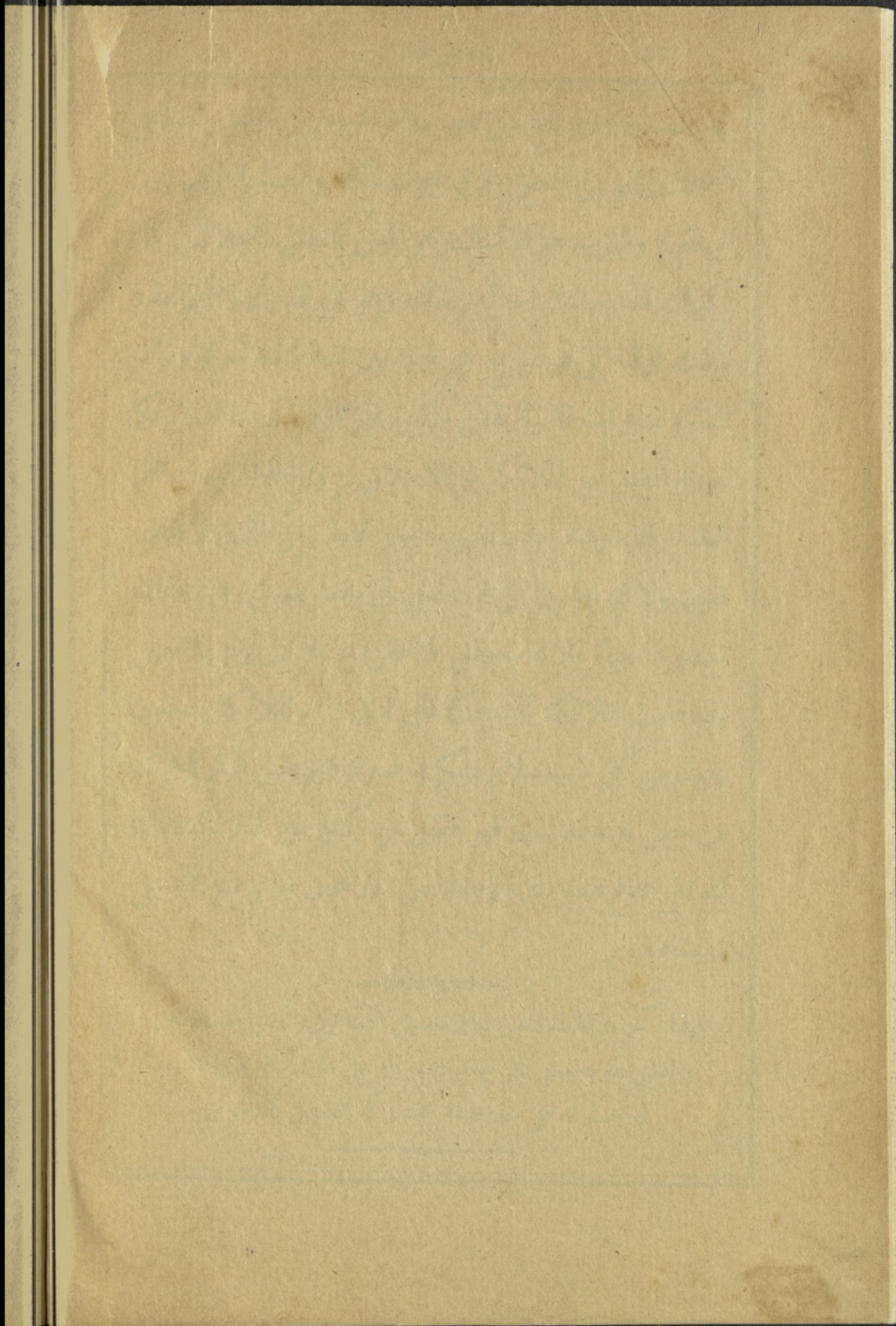
الباب الثالث والثلاثون

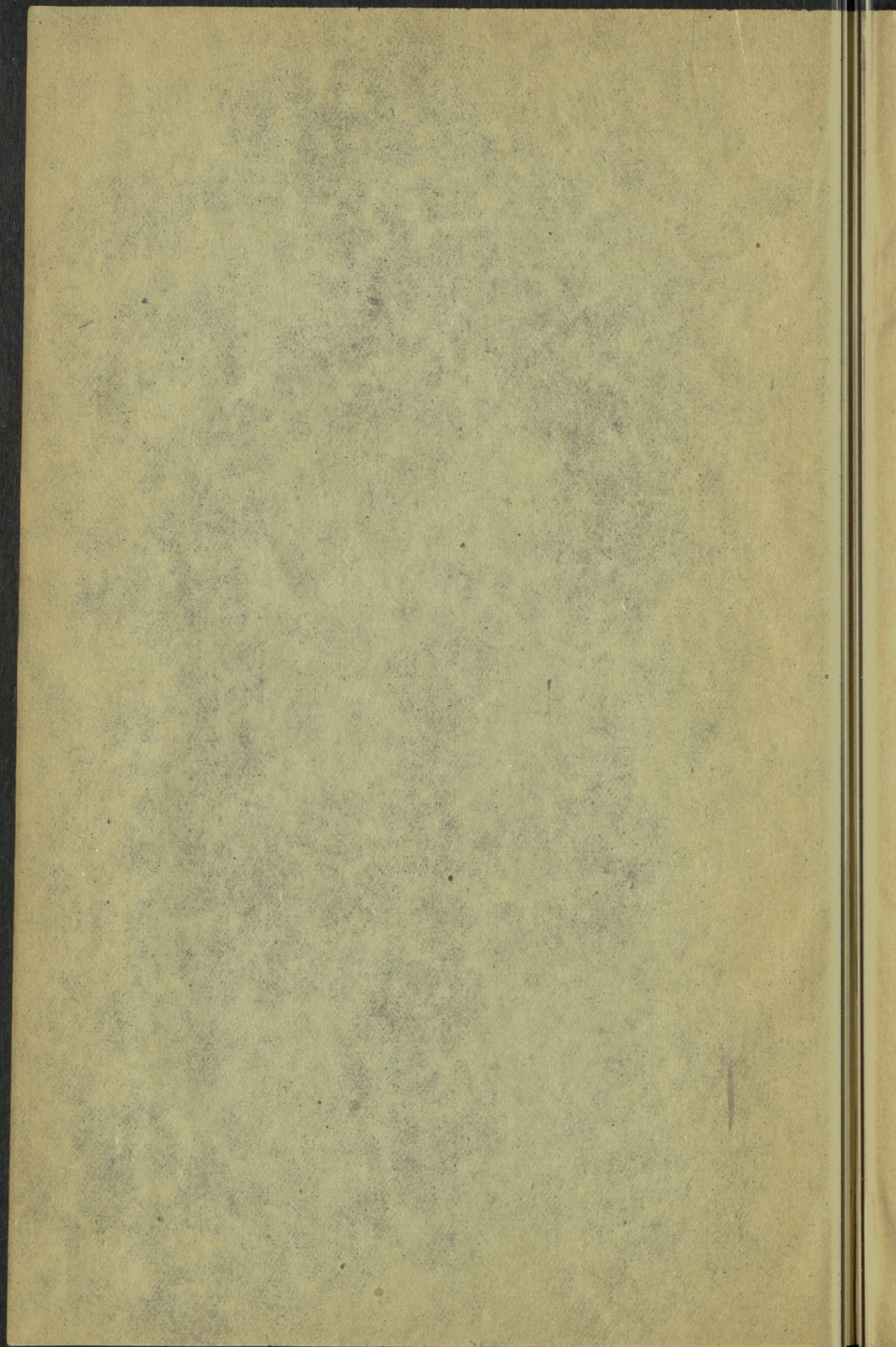
في فضيلة الانسان اذا شرف على الملائكة
قد تقدم ان الناس ضربان ضرب لم يحظ من الانسانية

الا بالصورة التخطيطية من انتصاب القامة وعرض الظفر والقوة على
 الضحك ولغو من النطق يجري مجرى الماء والنصدية وهو دون
 البهائم . وضرب هو الانسان وهو المعنى بما خلق لاجله فمن كان
 كذلك فله حالتان احدهما حالته وهو في الدنيا ولم يقتحم العقبة
 ويفك الرقبة بل هو صريع جوعه واسير شبعة تنته العرقة وتؤلمه
 البقة وثقله الشرقة ولما يقض ما امره فهو ما دام في دنياه لا يحكم
 له بانه افضل من الملائكة على الاطلاق . والحالة الثانية قد اقتحم
 العقبة وفك الرقبة بعدما قضى ما امره فصار من الذين لا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون بل قد جعل في مقعد صدق عند مليك
 مقننر ذا حياة بلا ممت وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل
 وقد قامت الملائكة تخدمه كما قال تعالى : (والملائكة يدخلون
 عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) فحينئذ
 من جعل له هذه المنزلة فهو افضل من كثير من الملائكة اعاننا
 الله على بلوغ هذه المنزلة وجعلنا من المترشحين لها برحمته انه على
 ما يشاء قدير

فهذا آخر ما قصدت من بيان تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين
 نفعني الله به ومن نظر فيه برحمته انه على ما يشاء قدير والحمد
 لله وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين







b12374167

DATE DUE

~~16 OCT 1988~~

297.23:R142taA:c.1

الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين
تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005701

American University of Beirut

297.23
R142taA

